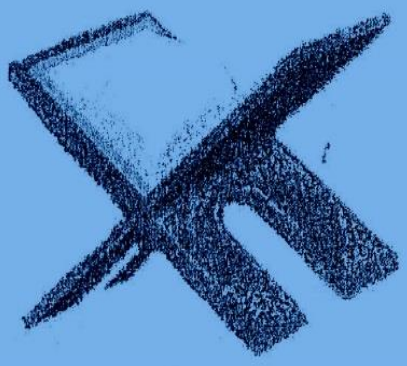

دار المحبة - دار آية للقرآن الكريم وعلومه للطباعة والنشر
ص.ب 93-84-199 هدية
لبنان - هدية ص.ب.2-5577
لبنان - إقليم الخروب حارة

معهد الماهر لتحفيظ القرآن

قصص الأنبياء:
قراءة تأصيلية جديدة

إعداد وتقديم:
د. شرين لبيب خورشيد

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى: قصص الأنبياء: قراءة تأصيلية جديدة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، مُحَمَّد عليه أفضل الصلاة والتسليم...

محاور المحاضرة هو كالتالي:

١ – التمهيد: يتطرّق إلى التعريف بالقصص القرآني من حيث:

أ – الحديث عن البقعة الجغرافية التي كانت ساحة لقصص الأنبياء.

ب – تاريخ القصص القرآني كما هو في القرآن الكريم والذي يمكن تقسيمه إلى فترتين زمنيتين:

أولاً: قصص حدثت قبل بعثة الرسول ﷺ وتتضمن:

١ – قصص الأنبياء السابقين.

٢ – قصص أخرى عامة ومختلفة.

ثانياً: قصص حدثت في أثناء بعثة الرسول ﷺ وتطال:

١ – أحداث حدثت عند نزول القرآن الكريم، والحديث عن أمم تسكن في الجوار ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ ۝٢.

٢ – منهج رسول الله ﷺ في إيراده القصص القرآني للصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

ثالثا: أهداف القصص القرآني.

رابعا: القصص القرآني وامتزاجه باليهوديات من خلال التفاسير والموقف العلمي منها.

أولاً: التمهيد: قصَّ الله عزّ وجلّ في القرآن قصصاً للسابقين، ووصف هذا القصص بأنّه الحقّ الذي لا يتطرّق إليه شك، كما وصف هذه القصص بأنه أحسن القصص.

فلنعد إلى الأصل اللغوي لكلمة «قصص» التي وردت في القرآن الكريم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مادة «قصص» في القرآن[1]:

بحالات واستعمالات وتصريفات مختلفة، فجاءت: في صورة الفعل الماضي، وفي صورة الفعل المضارع، وفي صورة فعل الأمر.

إذ يقال قَصَّ: أي تتبع الأثر. يقال: قَصَصْتُ أثره.

قال تعالى: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الكهف: ٦٤]، أي: تتبعا أثر سيرهما السابق.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ [القصص: ١١]، أي تتبعي أثر الصندوق الذي يحتوي موسى الرضيع.

والقَصَصُ: هو الأَخبار المتتبَّعَةُ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ [آل عمران: ٦٢]. بمعنى الأخبار الصحيحة.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ﴾ [القصص: ٢٥]، أخبار الأحداث.

وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣]، الأخبار المتتبعة عن الأشخاص.

لذا هو القصص الحقّ، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ... ﴾ [يوسف: ٢ – ٤].

وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [طه: ٩٩].

لذا قصّ علينا الله عزّ وجلّ القصص وأهمها قصص السابقين، ليبصَّرنا بما يصلحنا، ويرشدنا إلى طريق محبته ورضاه، ويحذرنا من طريق غضبه وسخطه وعذابه. كل هذا من خلال ما قصه علينا من قصص السابقين، ومن هنا تكمن أهمية القصص في التربية:

---

١ صلاح عبد الفتاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، دمشق، دار القلم، الطبعة الخامسة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، ص٢١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١ – تعتبر القصة من أهم الأساليب التربوية المؤثرة، لما لها من أثر في حياة الإنسان عامة، وما لها من ثمرات وفوائد على كل من القاص والمقصوص عليه والمجتمع والأمّة والناس أجمعين، والقصص القرآني له خاصيّته في ترسيخ التوحيد الصحيح، والتفكر وأخذ العبر والعظات. هذا إلى جانب وجود أساليب تربوية أخرى يمكننا استخدامها في عملية الإرشاد والنصح: كالقدوة – تقوى الله (الضمير الحي)، الموعظة، النصيحة، المناظرة، الرحلة والعبادة، والتربية بالأحداث الجارية، والترغيب والترهيب، الثواب والعقاب، والتربية بالمثل، والإعلام، والبحث العلمي، والحاسوب الآلي)؛ مع العلم أن الوسيلة هي أداة يستخدمها الإنسان للوصول إلى الهدف الذي يريد)[1].

٢ – القصة لها الأثر الفعال في عملية التغيير.

٣ – القصة لها الأثر الفعال في عملية غرس مفهوم جديد.

٤ – والهدف الرئيسي من معرفة قَصَص الأنبياء هو التعرف على الوسيلة الفضلى التي تربى بها صحابة رسول الله ﷺ لكي يحوزوا قول رسول الله ﷺ فيهم: **(خير قرون قرني، ثمَّ الذي يليه، ثمّ الذي يليه)**[2].

وقفة سريعة مع القصص القرآني:

لِمَ سميت بالقصص الحق، وبأحسن القصص؟ ولماذا يجب علينا معرفتها؟ ولِمَ أخبر الله عزّ وجلّ قصص هؤلاء القوم في القرآن الكريم؟ وهل اخبارنا بهذه القصص هو مجرد تسلية ولتحرير الوقت؟ أم أن هناك أهدافاً لسرد هذه القصص؟

أولاً: سميت (بالقصص الحق) لأنها من عند الله الحق ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ ﴿٦٢﴾ [آل عمران: ٦٢].

(قصص الحق: معناه الصدق والصحة والصواب، فكل ما ورد في القرآن من القصص فهو حق، سواء كان هدفه عقيدة أو دعوة أو توجيه...)[1].

---

١ نسيبة عبدالعزيز علي المطوع، القصة سحر العقول والقلوب، الكويت، سلسلة رؤية تربوية، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ٢٧ – ٢٩.

٢ رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم ٣٦٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: سميت بأحسن القصص، لأنّ الله سبحانه هو الذي تولى القصَّ على رسوله ﷺ ، وهذا كرم من الله وفضل، وسميت أحسن القصص لأنها أحسن من القصص البشريّة، (وحُسْنُ القصص القرآني يتجلى في: الحُسْن الفني، فهو معروض في القرآن بأسلوب التصويري الفني، وفيه الجمال البياني المؤثر المعجز. والجرس الفني الواضح في اختيار الألفاظ المتناسقة والمتوازنة صياغة مع غيرها.

ويتجلى فيها الحسن الموضوعي، حيث يعرض لنا أخباراً أو معلومات عن ذلك التاريخ الماضي وأحداثه)[٢].

ثالثاً: وهي القصص الحق لأنها تتحدث عن أمر غيبي، فالله تعالى قصّ علينا أخبار السابقين لإرشادنا وتحذيرنا أيضاً، والهدف من ذلك أن نؤمن بالأمور الغيبية التي يخبرنا بها الله، قال تعالى: ﴿ **يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ** ﴾ والإيمان بالغيب: هو التصديق بما جاء من سرد القَصص القرآني من غير زيادة ولا نقصان. وقبل الحديث عن القصص القرآني سنتحدث عن البقعة الجغرافية التي جرت فيها سيرة الأمم السابقة. والأماكن التي كانت تقطنها الأمم السابقة من بداية خلق آدم عليه السلام إلى زمن مُحَمَّد ﷺ ووقت بعثته.

---

١ صلاح عبد الفتاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، الجزء الأول، ص٣٠.

٢ المرجع السابق، ص٢٩.

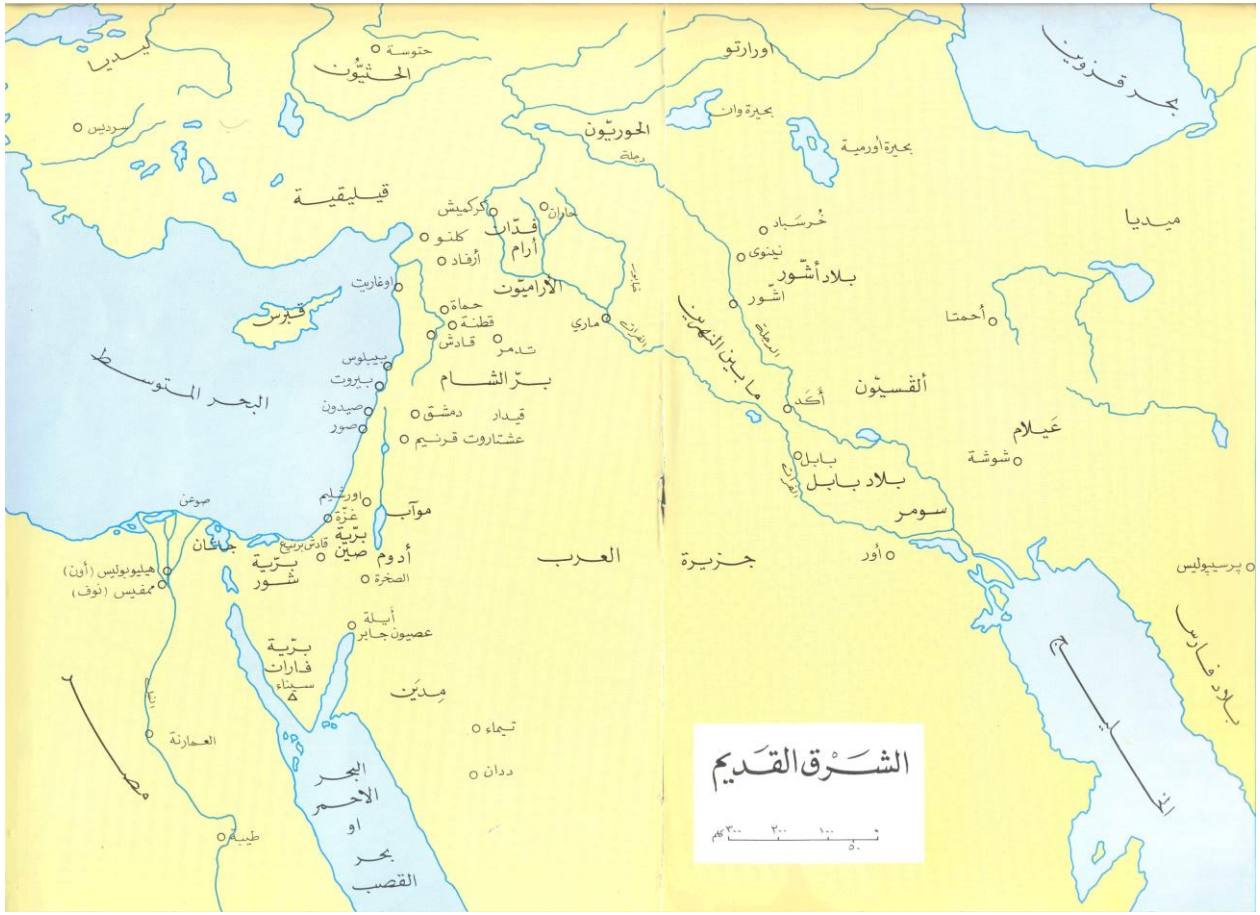
الشرق القديم
البحر المتوسط
البحر الأحمر
او
بحر القصب
العرب
مصر
قبرص
قيليقية
الحثيّون
الحوريّون
الآراميّون
بلاد أشّور
بلاد بابل
سومر
جزيرة
ألقسيّون
ميديا
عيلام
بحر قزوين
بحيرة أورمية
بلاد فارس
الخليج
بحر العرب
بحيرة وان
بحيرة أورمية
الفرات
دجلة
بين النهرين
حتوسة
كركميش
كلنو
أرفاد
حماة
قطنة
قادش
تدمر
دمشق
قيدار
عشتاروت قرنيم
بيبلوس
بيروت
صيدون
صور
أورشليم
غزة
برّية صين
أدوم
الصخرة
موآب
صوعن
جاشان
قادش برنيع
برّية شور
هيليوبوليس (أون)
ممفيس (نوف)
أيلة
عصيون جابر
برّية فاران
سيناء
مِدين
تيماء
ددان
العمارنة
طيبة
أوغاريت
ماري
حاران
خرسباد
نينوى
اشور
أحمتا
أكد
بابل
شوشة
أور
پرسيپوليس
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ كم
٥٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: تاريخ قصص الأنبياء المنظم والموثق في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والتي يمكن تقسيمه إلى فترتين زمنيتين:

أولاً: زمن ما قبل البعثة:

أي الحديث عن الأمم السابقة من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام.

ونجد القرآن الكريم قسمها إلى قسمين:

- قصص الأنبياء.
- وقصص عامة.

ثانياً: أخبار ما بعد البعثة:

أي عند تنزيل القرآن الكريم على رسول اللهصلى الله عليه وسلم:

أ – تحدثت الآيات عن الأمم المتواجدة في حياة رسول الله ﷺ ؛ مثال: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝... ﴾ أحداث جرت مع الروم، إذ تحدثت الآيات عن هؤلاء الروم وكيف غلبوا ولكنهم بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين والهدف من إخبار رسول الله ﷺ هذه الأخبار لأنه خاتم النبيين والمرسلين ولأنه مرسل للناس كافة، فيخبره الله عزّ وجلّ قصصهم الحقّ لكي يؤمن به الناس من أهل مكة المكرمة، وإلا من أين يأتي رسول الله ﷺ بقصص الروم ومن حولهم في البقاع الأخرى المكرمة؟

ب – لتكون منهجاً لرسول الله ﷺ في دعوته للصحابة الكرام.

ج – لتظهر أثر هذه القصص على السيرة النبوية وأهمية وقعها في الدعوة إلى الله.

د – لبيان التأثير غير المباشر للقصص في الدعوة إلى الله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: أما من أهداف القصص القرآني فنذكر:

١ – التعريف بسير الأمم السابقة.

٢ – استخلاص العبر والعظات من خلال التفكر والتدبر لآيات الله عزّ وجلّ. قال تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

٣ – تثبيت الفؤاد في مواجهة الأعداء والصعوبات: ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

٤ – تنفيذ الأمر الإلهي الصريح في سورة الأعراف لإظهار حال من كفر بآيات الله. قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ – ١٧٧].

٥ – الحديث عن الأنبياء لإظهار علم رسول الله بما لم يكن يعلم من أخبار الأنبياء السابقين.

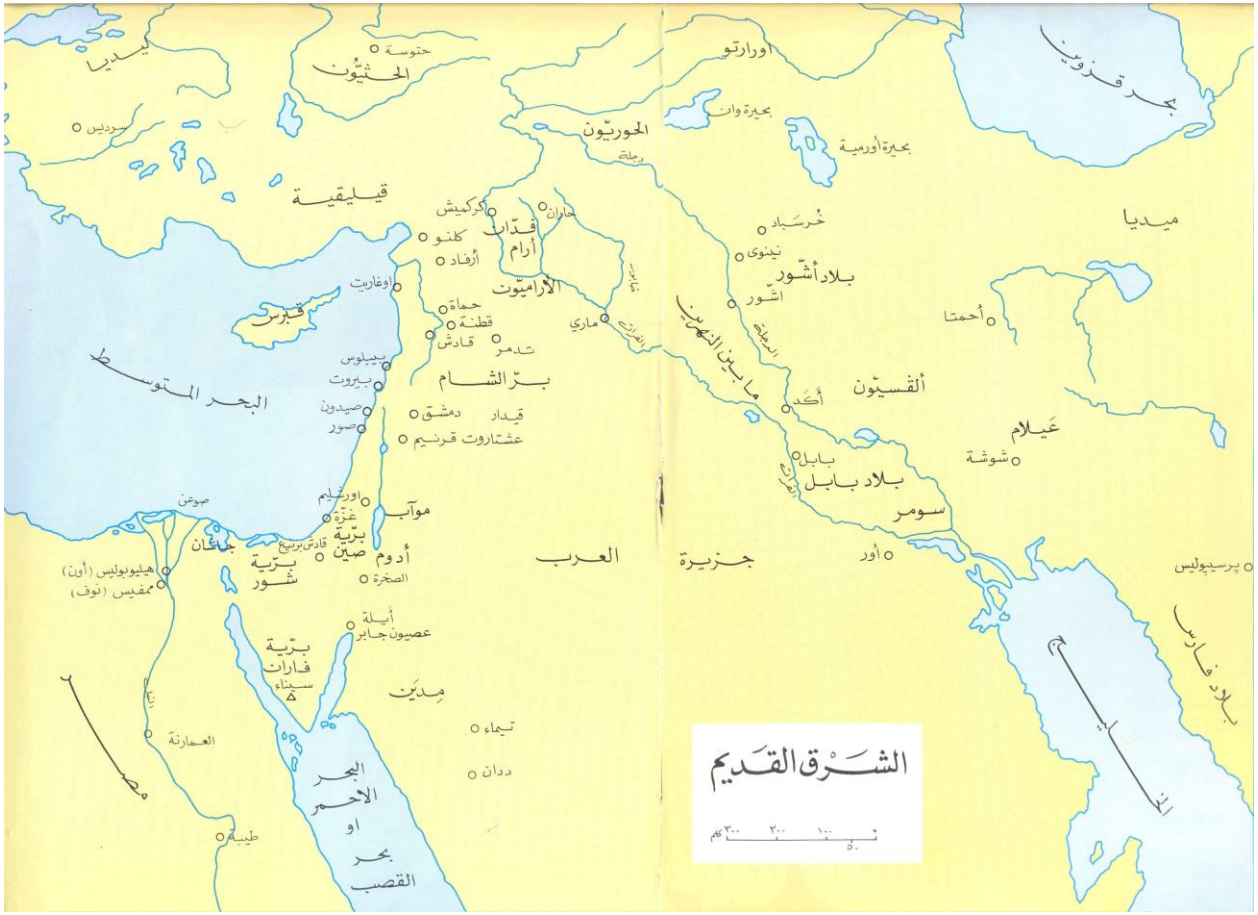
الشرق القديم
٥٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ كم
البحر المتوسط
البحر الأحمر
او
بحر القصب
العرب
جزيرة
مصر
قبرص
كيليكيا
الحثيّون
الحوريّون
الأراميّون
بر الشام
قيلقية
ميديا
بحر قزوين
بحيرة وان
بحيرة أورمية
ما بين النهرين
ألفسيّون
عيلام
سومر
بلاد بابل
بلاد أشّور
بلاد فارس
الخليج
حتوسة
كركميش
حاران
كلنو
أرفاد
أوغاريت
حماة
قطنة
قادش
تدمر
ماري
بيبلوس
بيروت
صيدون
صور
دمشق
قيدار
عشتاروت قرنيم
أورشليم
غزة
برّية صين
قادش برنيع
موآب
أدوم
الصخرة
جاشان
صوش
برّية شور
هيليوبوليس (أون)
ممفيس (نوف)
أيلة
عصيون جابر
برّية فاران
سيناء
مِدين
تيماء
ددان
العمارنة
طيبة
أشور
نينوى
خرسباد
أحمتا
أكد
بابل
شوشة
أور
برسيبوليس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شجرة الأنبياء

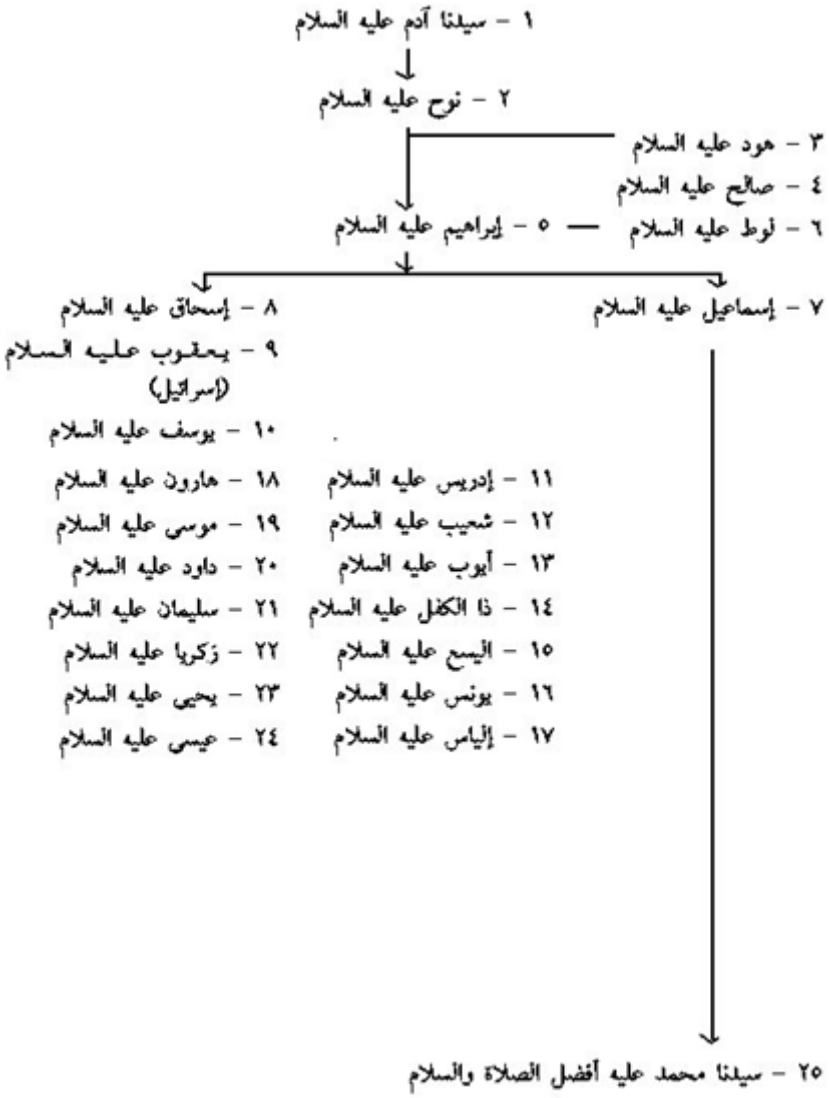

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سنتناول قصص الأنبياء بإيجاز:

عاش إبراهيم في بابل (العراق) ثم انتقل إلى الشام وبعد مدة انتقل إلى مصر مع أمنا سارة ثم غادر مصر ومعهما هاجر التي تزوجها ووضعت له إسماعيل عليه السلام، ثم أخذ هاجر وابنها إسماعيل في مكة المكرمة.

بعد مدة من الزمن، عاد إبراهيم إلى مكة ليطلع على أمر ولده إسماعيل، فعلم بوفاة أمنا هاجر، ووجد ابنه إسماعيل عليه السلام، فبنيا معاً بيت الله الحرام، وأمر الناس بالحج، ثم عاد مجدداً إلى الشام، ولأنّه صدّق الرؤيا فقد بشره الله تعالى بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب عليهم السلام، رزق الله يعقوب (إسرائيل) يوسف عليه السلام الذي عاش في مصر مع إخوته بعد توبتهم إلى أن توفاهم الله عزّ وجل.

ثم أرسل الله موسى وهارون لإخراج بني إسرائيل من مصر بعدما اضطهدهم الفراعنة، واستعبدوهم وقَتّلوهم وسبوا نساءهم، وقد أمر الله عزّ وجلّ موسى عليه السلام بإخراج بني إسرائيل وإعادتهم إلى بيت المقدس، وحين وصولهم إلى سيناء أمروا بقتال العماليق فرفضوا ذلك، فحكم الله عزّ وجلّ عليهم بالتيه ٤٠ عاماً.

ثمّ بعث الله داود عليه السلام. وببعثته أصبح لدى بني إسرائيل دولة متكاملة زاد في انتشارها سليمان عليه السلام. ولكن بعد وفاة سليمان تتالت الحروب والغزوات عليهم، فغزاهم بختنصر وساقهم إلى بابل. هناك وبعد فترة من الزمن، تتالت الأنبياء عليهم، ولكنّهم قتّلوا الأنبياء والرسل إلى أن جاء زكريا ويحيى وعيسى ابن مريم عليهم السلام، ولكنهم لم يعيدوا لهم مجدهم الغابر فقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام، أما عيسى عليه السلام فرفع إلى السماء. إلى أن ولد مُحَمَّد. ﷺ أما الأطوار التي مرّت برسالة مُحَمَّد عليه أفضل الصلاة والتسليم فهي كالتالي:

تتجلّى أهمية قصص الأنبياء في هذه المرحلة في نزول القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ بلغة عربية سليمة و صحيحة وهو الرجل الأميّ الذي لا يعرف القراءة والكتابة. وكان لها دلالات ومعانٍ وأهداف عظيمة منها:

١ – الهدف الرئيسي الأول تبيان أن جميع الأنبياء والرسل جاؤوا بمهمة واحدة ألا وهي بيان منهج الله عزّ وجلّ في السير على الصراط المستقيم، وأنّ جميع الأمم السابقة كانت أمّة واحدة على دين واحد هو الإسلام؛ أما بيان سبب تشتت هذه الأمم فهو أنهم: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗا ﴾.

٢ – بيان مفهوم الدين قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣ – الدعوة إلى توحيد الله عزّ وجلّ ونبذ الشرك.

٤ – تربية الصحابة الكرام على المنهج السليم والصراط المستقيم. فلقد كان للقصص القرآني الأثر الكبير في تربيتهم وتثبيت قلوبهم على وحدانية الله العظيم.

وإن تتبعنا السور القرآنية التي تنزلت على قلب رسول الل ﷺ ه نجدها كالتالي:

عشر سنوات عشر سنوات

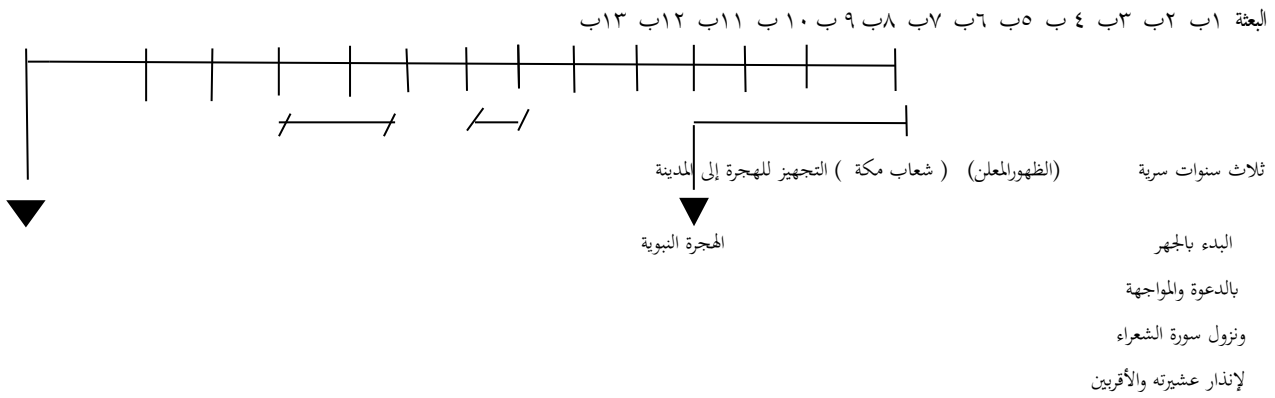

الدور الأول هو التأسيس والفكرة وبناء القاعدة

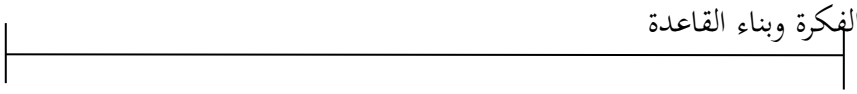

الدور الثاني: بناء الدولة الإسلامية في المدينة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السور المكية التي تنزلت على قلب رسول الله ﷺ خلال السنوات السرية هي كالتالي:

١ – العلق	**٢ – المدثر**
٣ – المزمل	٤ – القلم
٥ – الفاتحة	٦ – المسد
٧ – التكوير	٨ – الأعلى
٩ – الليل	١٠ – الفجر
١١ – الضحى	١٢ – الشرح
١٣ – العصر	١٤ – العاديات
١٥ – الكوثر	١٦ – التكاثر
١٧ – الماعون	١٨ – الكافرون
١٩ – الفيل	٢٠ – العلق
٢١ – الناس	٢٢ – الإخلاص
٢٣ – النجم	٢٤ – عبس
٢٥ – القدر	٢٦ – الشمس
٢٧ – البروج	٢٨ – التين
٢٩ – قريش	٣٠ – القارعة
٣١ – القيامة	٣٢ – الهمزة
٣٣ – المرسلات	٣٤ – ق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٥ – البلد	٣٦ – الطارق
٣٧ – القمر	٣٨ – ص
٣٩ – الأعراف	٤٠ – الجن
٤١ – يس	٤٢ – الفرقان
٤٣ – فاطر	٤٤ – مريم
٤٥ – طه	٤٦ – الواقعة
٤٧ – الشعراء	

أول السور التي تنزلت في السنوات الثلاث الأول على قلب رسول الله ﷺ لبناء العقيدة الصحيحة مع تثبيت الأخلاق وبعدها تتالت السور المكية خلال العشر سنوات تباعاً بحسب أسباب النزول.

فحين البدء بالدعوة جهراً تنزلت الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾، ونزلت ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾، أما بقية السور المكية التي تنزلت تباعاً إلى هجرته ﷺ فهي كالتالي:

٤٨ – النمل	**٤٩ – القصص**
٥٠ – الإسراء	٥١ – يونس
٥٢ – هود	٥٣ – يوسف
٥٤ – الحجر	٥٥ – الأنعام
٥٦ – الصافات	٥٧ – لقمان
٥٨ – سبأ	٥٩ – الزمر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦٠ – غافر	٦١ – فصلت
٦٢ – الشورى	٦٣ – الزخرف
٦٤ – الدخان	٦٥ – الجاثية
٦٦ – الأحقاف	٦٧ – الذاريات
٦٨ – الغاشية	٦٩ – الكهف
٧٠ – النحل	٧١ – نوح
٧٢ – إبراهيم	٧٣ – الأنبياء
٧٤ – المؤمنون	٧٥ – السجدة
٧٦ – الطور	٧٧ – الملك
٧٨ – الحاقة	٧٩ – المعارج
٨٠ – النبأ	٨١ – النازعات
٨٢ – الانفطار	٨٣ – الانشقاق
٨٤ – الروم	٨٥ – العنكبوت
٨٦ – المطففين	

وفي ختام السّور المكية يظهر لنا الهدف من سرد هذه السور وهو كما عبّر عنه مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني: (وسرد القصص النبوية وأبناء الرسل وأممهم السابقة، ما فيه أبلغ المواعظ وأنفع العبر، من تقرير سنته تعالى الكونية في إهلاك أهل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكفر والطغيان، وانتصار أهل الإيمان والإحسان، مهما طالت الأيام وامتدَّ الزمان، ما داموا قائمين بنصرة الحق وتأييد الإيمان)[1].

رابعاً: القصص القرآني وامتزاجه باليهوديات من خلال التفاسير والموقف العلمي منها:

مصادر القصص القرآني؛ إما من مصدر موثوق؛ أو مصدر غير موثوق، فالمصدر الأول هو المصدر اليقيني: وهو كتاب الله عزّ وجلّ، وما صحّ من حديث رسول الله ﷺ.

أما المصدر الثاني فهو ما يسمى (بالإسرائيليات): وهو مصدر غير موثوق، وغير صحيح وأحداثها مستمدة حسب زعم من ينقلها أنها مستمدة من بني إسرائيل، وبالأصل بنو إسرائيل غير مؤتمنين على توراتهم ولا على دينهم، فكيف يؤتمنون على أخبار وروايات التاريخ؟ إن الذي يتجرأ على تحريف الكتاب السماوي (التوراة)، يهون عليه تحريف أخبار التاريخ!!

الموقف العلمي في «الإسرائيليات»[2]:

(معنى «الإسرائيليات» جمع «إسرائيلية» وهي نسبة إلى إسرائيل، والمراد به بنو إسرائيل.

و«الإسرائيليات» مصطلح إسلامي، أطلقه العلماء المسلمون من المؤرخين والمفسرين والمحدثين، على تلك المعلومات والروايات والأخبار والأقوال التي أخذت عن السابقين، من غير المصادر الإسلامية الموثوقة، وبالذات تلك المأخوذة عن أهل الكتاب، وبشكل أخص عن بني إسرائيل أو اليهود!).

وليس كل تلك الأقوال والروايات مأخوذ عن بني إسرائيل فقط، فقد يكون مصدرها نصرانياً أو رومانياً أو فارسياً، المهم أنها غير موثوقة ولا معتمدة.

وقد أطلق على كل ذلك «الركام الكبير» من الأخبار والأقوال «إسرائيليات».

---

١ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، المجلد الأول، ص٢٠٦.

٢ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ص٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد اطلع بعض أهل العلم من المسلمين، بعد عهد الصحابة على تلك «الإسرائيليات»، وأُعجبوا بما تقدمه من تفصيلات ومعلومات، عن وقائع تاريخ الماضين وقصص السابقين، فسجلوها في تفاسيرهم وتواريخهم ومؤلفاتهم وكتاباتهم، ووضعوها بجانب الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، واعتبروا ذلك كله تأريخاً للماضي، وبياناً لقصص الأنبياء[1].

الأدلة في عدم اعتماد الإسرائيليات (اليهوديات) مرجعاً نعتمد عليه في تفسير الآيات أو شرح القَصص القرآني.

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

١ – قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة: ١٣].

٢ – قال تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ [النساء: ١٥٦ – ١٥٧].

٣ – قال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥].

٤ – وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ٧٨].

٥ – وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا

---

١ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ص٥٢ – ٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٠١ – ١٠٢].

٦ – وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٩ – ١٤٠].

ثانياً: الأدلة من السنّة:

لقد نهانا رسول الله ﷺ نهياً صريحاً عن أخذ شيء من روايات وإسرائيليات اليهود.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا**»[1].

روى أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «أن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغضب عليه الصلاة والسلام. وقال: أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟ [والمتهوك هو الشاك المتحير].

والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحقّ فتكذبوا به أو بباطلٍ فتصدقوا به.

والذي نفسي بيده، لو أنَّ موسى عليه السلام كان حياً، ما وسعه إلا أن يتبعني»[2].

وروى البخاري في كتاب الاعتصام، باب: قول النب ﷺ ي: «**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء**»، عن عبيد الله بن عبدالله: أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على

---

١ صحيح البخاري، كتاب التفسير: سورة البقرة، باب ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦]، حديث رقم ٤٤٨٥.

٢ انظر: فتح الباري لابن حجر ١٣\٢٨٤، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رسول الله ﷺ أحدث، تقرؤونه مَحْضاً لم يُشَبْ، وقد حَدَّثكم أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزِلَ عليكم. رقم الحديث: ٧٣٦٣.

وقد أورد الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث في كتابه فتح الباري فقال: قال عبدالله لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم فتكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل.... وقال ابن بطال عن المهلب هذا النهي إنما هو في سؤالهم عما لا نص فيه، لأن شرعنا مكتف بنفسه فإذا لم يوجد فيه نص ففي النظر والاستدلال غني عن سؤالهم ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا[1].

والحديث الذي رواه البخاري في الحديث عن بني إسرائيل، فقد روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «بلغوا عنّي ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذبَ عليّ متعمداً، فليتوأْ مقعده من النار»[2].

أما معنى الحديث فقد أورده ابن حجر العسقلاني: وقال الشافعي من المعلوم أن النبي لا ﷺ يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم. ومعنى الحديث: حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه[3].

والراجح في معنى الحديث:

عندما ننظر في الأقوال التي أوردها ابن حجر في معنى قوله: «**حدثوا عن بني إسرائيل**» فإننا نرجح ليس معنى: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» رفع الحرج وإزالة التحرج، والإقبال على أقوال وروايات وأخبار بني إسرائيل، وأخذ ما عندهم من إسرائيليات وأساطير، حول بعض أحداث السابقين، وروايتها واعتمادها، وتفسير آيات القرآن الكريم بها، واعتبارها معلومات علمية، يفصل بها القصص القرآني المجمل في القرآن، كما فعل كثير من المفسرين والمؤرخين المسلمين.

---

١ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، الجزء ١٣، ص٢٨٤.

٢ صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦١.

٣ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، الجزء السادس، ص٣٨٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلى هذا المعنى يكون المراد بقوله عليه الصلاة والسلام: «**حدثوا عن بني إسرائيل**»: اعرضوا على المسلمين قصة بني إسرائيل، وأخبروهم بما قام به بنو إسرائيل من أفعال، وما مرّ بهم من أحداث. وما جرى لبني إسرائيل من وقائع، وتكلموا عن موقف بني إسرائيل من أنبيائهم، وعن كفرهم بالله، وتحريفهم لكتبه، وعن صفاتهم القبيحة وأخلاقهم المذمومة، وحذروا المسلمين منهم، بعرض مشاهد ولقطات من تاريخهم[1].

كيف وصلت إلينا هذه اليهوديات؟ وكيف اعتمدها كتاب قصص الأنبياء لابن كثير:

(في الحقيقة: إن الإمام ابن كثير لم يؤلف كتاباً خاصاً في قصص الأنبياء، وإنما تحدث عنهم في بداية تاريخه الذي سماه «البداية والنهاية» فقام الدكتور مصطفى عبد الواحد – سامحه الله – بأخذ كلام ابن كثير عن الأنبياء من تاريخه، وإصداره في كتاب، دون أن يشير إلى أنّ هذا الكلام مأخوذ من تاريخ ابن كثير «البداية والنهاية»، فظنَّ القراء أنّ عبد الواحد قد حققَ كتاباً خاصاً أفرده ابن كثير لقصص الأنبياء.

ولدى مقارنة سريعة بين «قصص الأنبياء» وتاريخ «البداية والنهاية»، نرى أنّ الكلام في الموضعين واحد، لا يزيد ولا ينقص. وكان على عبد الواحد أن ينصّ على غلاف الكتاب أنه مُسْتَلٌّ من تاريخ ابن كثير بالنص، لئلا يوقع القراء في هذا اللَّبس!)[2].

---

١ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ص٧٣ – ٧٤.

٢ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ص٨ – ٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثانية:

وقبل الحديث عن قصة آدم عليه السلام، علينا أن نتعرف أولاً على بداية الخلق، خلق الله الكون لحكمة عظيمة تُظهر آثار أسمائه وآثار رحمته، وآثار قدرته، وآثار حكمته، وآثار جبروته، خلق الله الخلق ليرحمهم وليظهر علمه وحكمته وجبروته وقدرته، وهو – عزّ وجلّ – غني عن جميع مخلوقاته وجعلهم جميعاً فقراء إليه.

لم يشهد أي مخلوق، ولا أحد كيف خُلِقَ هذا الكون. لم يشهد أحد خلق السموات والأرض ولا يستطيع أحد في هذا الكون أن يدّعي أنه شهد خلق السموات أو الأرض أو ما بينهما قال تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [1]، لكي لا يكون هناك حجة لمن يتخذ نفسه إلهاً. فيعبده الناس، فالله سبحانه هو الخالق وهو الأول والآخر والظاهر والباطن... الأول ليس له بداية والآخر ليس له نهاية، وليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء... لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أو نِداً أو مثيلاً أو شبيهاً[2].

ونبدأ حديثنا عن علم الله الأزلي، وهو الركن الأول من أركان الإيمان بالقدر حيث يقوم على أربعة أركان؛ ألا وهي:

(**الأول**: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط.

الثاني: الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

الرابع: خلقه تبارك وتعالى لكل موجود، لا شريك لله في خلقه)[3].

(فعلم الله محيط بكل شيء، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود والمعدوم، والممكن والمستحيل، وهو عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم، وشقاوتهم وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ويخلق السماوات والأرض.

ودلّت الأصول القرآنية والنبوية أن تقدير أمور الخلائق تمّ في علم الله عزّ وجلّ قبل أن يخلقهم)[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥١.

(٢)الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه الصلاة والسلام، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣م، ص٩..

٣ عمر الأشقر، القضاء والقدر، الأردن، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ _ ١٩٩٥م، ص٢٩.

٤ عمر الأشقر، القضاء والقدر، ص٣٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(وقد قال ابن كثير: وهو تعالى العالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فيعلم الشيء قبل كونه، ومع كونه على ما هو عليه، لا إله إلا هو، ولا ربّ سواه، ولا راد لما قدّره وأمضاه. وهذا مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة)[1].

(فالله عزّ وجلّ عليم بما كان وبما هو كائن، وما سيكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، سبحانه أحاط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها)[2].

وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: **(كان الله ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض)** [3].

وروى البخاري في حديث عن عمران بن حصين: قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: **(جئناك لنتفقّه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض)** [4] قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣**﴾[5].

أي أن الله – جلّ جلاله – كان ولم يكن معه شيء، فهو الأحد، المنفرد بالخلق وحده لا شريك له، ولما أراد الله الحكيم خلق هذا الوجود، لحكمة يريدها سبحانه، أوجده مُتْقَناً مُتناسقاً، ولم يخلقه لهواً ولا عَبثاً ولا لَعِباً، سبحانه.

مرّت على هذا الوجود فترةٌ زمنيّةٌ ليس فيها إلا الله تعالى، وحده لا شريك له، فخلق الماء، وخلق دُخاناً، وَخَلَقَ عَرْشَهُ على الماء[6]، ولا يراد بذلك الماء ماء المحيطات والبحار والأنهار، فهذا الماء ماء خاص، ووضع في مكانٍ خاص، وجعل العرش عليه بكيفية خاصة لا يعرفها بشر.

وأيضاً قال رسول الله صلى الله عليو وسلم: **(أولُ ما خلق الله تعالى القَلَم. فقال: اكتب. قال: ما اكتب؟ اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد)**[7]، وفي رواية للترمذي: **(قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض**

---

١ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثاني، ص١٤٢.

٢ محمود عبد الرازق الرضواني، أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، القاهرة، مكتبة سلسبيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م، ص٤٤١.

(٣) رواه البخاري، عن عمران بن حصين، حديث رقم: ٣١٩٠، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

(٤) رواه البخاري، عن عمران بن حصين، حديث رقم: ٧٤١٨، كتاب: التوحيد، باب: ﴿وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم﴾.

(٥) سورة يونس، الآية: ٣.

(٦) لا نسأل كيفية ذلك ولا مكان الماء ولا أين خلقه فكل ما نعرفه أن الماء مخلوق، وأن عرشه على الماء، وأن هذا كان قبل الإنسان وخلق السموات والأرض..

(٧)رواه سنن الترمذي، رقم (٤٥٨/٤) حديث رقم: ٢١٥٥، كتاب: القدر، باب: ما جاء في الرضا بالقضاء، حديث حسن صحيح.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بخمسين ألف سنة) [1].

وقالصلى الله عليه وسلم: **(أولُ ما خَلَقَ اللهُ خَلَقَ القَلَمَ فقال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: أكتب القَدَرَ، فَجَرى بما هو كائنٌ في ذلك اليوم إلى قيام الساعة)**[2].

وقال رسول الله ﷺ:(كتب **الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء)**[3]، فَعَلِمَ الله – عزّ وجلّ – ما كان وما يكون، ولوكان كيف يكون ويعلم الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل، ويعلم سركم وجهركم في الأرض، غنيٌّ عن جميع الأشياء، قادر لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء[4].

قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام. وبعدها أراد الله – عزّ وجلّ – خلق السموات والأرض فتوجهت إرادته إلى خلقهما وإيجادهما، فكانت السموات والأرض متصلتين ففصل الله بينهما، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾**﴾ [5]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾**﴾[6].

مراحل خلق السماوات والأرض وآدم عليه السلام:

١ – روى مسلم في حديثه عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: (أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله عزّ وجلّ التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) [7].

٢ – (وقد بينت نصوص القرآن وصحيح السنة أن الله عزّ وجلّ خلق الأرض والسماء بعد العرش والماء، وأنه خلقهما على مرحلتين كما قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ**﴾ [الأنبياء: ٣٠]، هاتان المرحلتان تحققان حكمة الله في ابتلاء الإنسان وقيام الخلائق على

---

(١) رواه سنن الترمذي، رقم (٤٥٨/٤) حديث رقم: ٢١٥٦، كتاب: القدر، باب: ما جاء في الرضا بالقضاء، حديث حسن صحيح.

(٢)انظر صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٣) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٦٩٠، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى.

(٤)القرطبي، عبد الله بن محمّد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الجزء السادس، ص ٣٩٠ بتصرف.

(٥) سورة الأنبياء، الآية:٣٠.

(٦)سورة ق، الآية:٣٨.

٧رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب ابتاء الخلق وخلق آدم عليه السلام (٢٧٨٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحق والميزان، المرحلة الأولى كانت في وضع الرتق والدخان، والمرحلة الثانية بعد خلق آدم عليه السلام، وكل ذلك تمّ في عدة حقب زمنية الله أعلم بمقدارها)[1].

٣ - عرض الأمانة على السماوات والأرض وعلى آدم عليه السلام: قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢].

صح عن ابن عباس في تفسيره آية الأمانة أنه قال: يعني بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم: إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها، قال يا رب: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فتحملها)[2].

(قال ابن الجوزي: قول الأكثرين في المراد بعرض الأمانة على السماوات والأرض أن الله تعالى ركب العقل في هذه الأعيان، وأفهمهن خطابه، وأنطقهن بالجواب حين عرضها عليهن، ولم يرد بقوله أبين المخالفة ولكن أبين للخشية والمخافة لأن العرض كان تخييراً لا إلزاماً، وأشفقن بمعنى خفن منها ألا يؤدينها فيلحقهن العقاب)[3].

وقد أوضح الدكتور عبدالرحمٰن حسن حبنكة الميداني في كتابه معارج التفكر والتدبر في شرح هذه الآية قائلاً:

ما هي الأمانة التي عرضها الربّ جلّ جلاله؟

لا بد للإجابة على هذا السؤال من تحليلٍ للصفات التي تتصف بها هذه الكائنات، ولعناصر الأمانة، لإدراك الأمور التي جعلت والجبال والسماوات تأبى حملها، والتي جعلت الإنسان يقبل حملها، ويستعد لتحمل التكليف المرافق لحملها، وتبعة الحساب، وفصل القضاء، وتنفيذ الجزاء بعد ذلك.

إن العرض يستلزم عقلاً إدراك المعروض عليه حقيقة معنى ما يعرض عليه، أي فهمه، والعلم به، إذا كان أمر العرض أمراً حقيقياً، لا مجازياً.

أي أن الله على كل شيء قدير، فحين عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال، وعلى آدم عليه السلام وفيه ذريته، أدركوا ما عرض عليهم من حمل الأمانة فقد أدركوا ما عرض عليهم وفهموه، حتى يأبى حمل الأمانة من أباه، ويقبل حملها من قبله.

ويمكن أن نصور هذا العرض والحوار الذي جرى حوله تخيلاً واستنباطاً من وجيز البيان القرآني.

العرض: أتريدين أيَّتُها السماوات والأرض والجبال أن تَحمِلي الأمانة؟

أتُريد أيُّها الإنسان أن تَحمِل الأمانة؟

---

١ محمود عبد الرازق الرضواني، الإنسان وبداية الكون، القاهرة، مكتبة سلسبيل الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م، ٥٦.

٢ أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٣ زاد المسير ٦\٤٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعروض عيلهم: ما هي الأمانة التّي نَحْمِلُها؟

العرض: نَجعل لَكُم إرداةً حُرّةً، وسُلطةً على بعض ما يوضع في ذواتكم من قوى وطاقات وأشياء أمانة عندكم، على سبيل الإعارة للإنتفاع أو الوديعة، ويؤذن لكم بالتصرّف فيها بإرادات حرّة لكم، والتصرّف فيما حولكم من الكون، ممّا تَصِلُ قدراتكم إليه أو إلى مفاتيحه.

المعروض عليهم: هذا تصرّف من صفات الخالق المالك وكيف نتصرّف وليس لدينا رغبات ولا شهوات، ولا حاجات، ولا أهواء، ولا نستطيع أن تكون لنا صفات الربّ الحكيم؟!

العرض: تُخْلَقُ فيكم رغباتٌ وشهواتٌ، وحاجات وأهواء، ولذّات.

المعروض عليهم: وهلْ يباح لنا أن نتصرّف بإراداتنا الحرّة، وفق رغباتنا وشهواتنا وحاجاتنا وأهوائنا دون مسؤولية؟

العرض: يُعطى لكُمُ التمكينُ من التصرّف، لكن لا على سبيل إباحة كلّ شيء.

المعروض عليهم: كيف نتصرّف إذّنْ؟

العرض: يُوَجّه لكُمُ التكليف لِفِعْلِ أشياء وترك أشياء على خلاف رغباتكم وشهواتكم وأهوائكم، ويباح لكم أشياء لتلبية مطالب حاجاتكم وشهواتكم.

المعروض عليهم: فإذا عصينا التكليف وخالَفْنا الأوامر والنواهي؟

العرض: أنتم إذن ملاحقون بالمحاسبة والجزاء على اختياراتكم!

المعروض عليهم: هذا تكريم وتشريفٌ، مقرونٌ بتكليف ومسؤوليّة، وبعْدَهُ حسابٌ وجزاءٌ، ولكن هل يبقى في ذاكرتنا هذا العرض وهذا الحوار؟

العرض: يُطوى من ذاكراتكم هذا العرض وهذا الحوار، وتُطوى من ذاكراتكم هذه المعرفة، المعرفة الحاضرة بخالقكم، ويبقى فيكم ما يشدُّكم إلى معرفته والإيمان به إيماناً غيبيّاً، وإلى معرفة الغاية من وجود الأمانة الكبرى تحت سلطتكم، وتُرسَلُ إليكم الرُّسل، وتُنَزَّلُ إليكم الكتب، لتعرّفكم بيانَ المطلوب منكم، وإنذاركم وتحذيركم، وتبشير من آمَنَ وأطاع منكم، ويخبرونكم بما جرى في هذا العرض.

المعروض عليهم: وما هو نوع الجزاء؟

العرض: عذاب أليم أبدّي بالحريق، على الكفر بالخالق والإشراك به وجحود ربوبيّته أو ألوهيته، وعذاب دون ذلك بالعدل بحسب المعاصي والإساءات. ونعيم أبديّ في جنّات نعيم خالدة، على الإيمان بالخالق إيماناً غيبيّاً، والإسلام له (التسليم له والتوكل عليه)، ودرجات من النعيم بعضها فوق بعض، بقدر ما يقدّم كل من صالح الأعمال، مع احتمال غفران وعفو عن السيئات دون الشرك بحسب مشيئة بارئكم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السماوات والأرض والجبال: هذه مُخاطرة مخيفة نأبى قبولها، وما دامَ الأمرُ عرضاً، لا جبر فيه، فنحن لذلك نأبى حَمْل هذه الأمانة.

الإنسان: قَبِلْتُ هذا العرض، فأنا أحمل هذه الأمانة الكبرى، وأتحمَّلُ تَبِعَتَها، وتَحْلو عندي هذه المخاطرة، ويشدُّني إليها الطَّمَع بِمقام التكريم، وببلوغ المجد العظيم.

العرض: خُذْ الأمانة أيُّها الإنسان، وستَدْخُل رحلة الامتحان في الوقت المقدّر لدخولك عبر الحياة الدنيا، منذُ بلوغك سنّ التكليف حتى وفاتك، ثُمَّ تكون لك حياة أخرى لمحاسبتك ومجازاتك(١).

وقد أخبرنا الله عزّ وجلّ أنّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ففي حديث عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال: حدّثنا رسول الله ﷺ حديثين، فقد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر.

حدثنا: **(إنَّ الأمانَةَ نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعَلِموا من القرآن وعَلموا من السنة).**

ثمّ حدثنا رسول الله ﷺ عن رفع الأمانة فقال: **(ينام الرجل فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت. ثمّ ينام النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المَجْلِ، كَجَمْرٍ دحرجتَهُ على رِجْلِكَ فنفط، فتراه منتبراً، وليس فيه شيء).**

ثم أخذ رسول الله ﷺ حصى، فدحرجه على رِجْلِهِ ثمَّ قال:

(فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكادُ أحدٌ يؤدّي الأمانَةَ، حتى يقال: إنّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجْلَدَهُ!. ما أظرفه!.ما أعقله!. وما في قَلْبِهِ مثقال حَبَّةٍ من خردل من إيمان)[٢].

(والشاهد من الحديث أنّ الأمانة مزروعة في قلب كلّ واحد منّا أنزلها الله في أصل قلوبهم، مع فطرتهم التي فطرهم عليها. يدل على معنى الفطرة في التكوين قوله: ((نزلت)) أي هي من عند الله عزّ وجلّ، والمراد أن القلوب في أصلها مفطورة على معرفة الأمانة والخيانة، والميل إلى الأمانة واستحسانها، والنفرة من الخيانة واستقباحها)[٣].

٤ – (وبعد أن خير الله عزّ وجلّ السماوات والأرض والجبال في قبول الأمانة أو رفضها، وبعد ممارسة حقهن في الاختيار ورفضهن لها، كان من كمال عدل الله عزّ وجلّ أنه خيرهن مرة أخرى لكن التخيير هذه المرة لإظهار الرضا منهن في طاعة الله لأمره والاستجابة لحكمه، إذ كلفهن بعمل ما أو سخرهن لوظيفة ما حتى وإن كانت لصالح الإنسان الذي

---

(١) الميداني، حسن حبنكة، روائع من أقوال الرسول ﷺ، ص ٣٤٠، ومعارج التفكر ودقائق التدبر، المجلد الخامس، ١٨ – ٢٠.

٢ رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، حديث رقم ٦٤٩٧.

٣ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، روائع من أقوال الرسول، دمش ﷺ ق، دار القلم، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ _ ١٩٩١م، ص٣٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قبل الأمانة، فاخترن جميعاً الطاعة والخضوع لله عزّ وجلّ بكلفهن بما شاء وسوف يلتزمن بأحكام القضاء تمام الالتزام فقال تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩ – ١٢].

فلما قالت السماء والأرض: أتينا طائعين، فصل الله عزّ وجلّ السماء عن الأرض من وضع الرتق والدخان في حقبتين زمنيتين كما قال: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ١٢]. بناها سبعاً طباقاً، رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فجعل فيها الشمس والقمر تحديد ليلها وأخرج ضحاها فجعل فيها الشمس والقمر تحديد لنوعية الزمن الجديد الذي سيتعاقب على الإنسان والذي عبر القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦]، ثم ثني بالأرض فبسطها ودحاها ومدها، وأخرج ما كان مودعاً فيها من أقوات وخيرات كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ٣٠ – ٣٣]. وكل ذلك لتستقر الأرض للإنسان متاعاً له على وجه الابتلاء والامتحان)[1].

٥ – أما سورة البقرة فذكرت قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩]. قال بعدها مباشرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ﴾ [البقرة: ٣٠]، ويظهر من هاتين الآيتين ابتلاء الإنسان بمن قبل الأمانة من جهة، ثم ابتلاؤه بمن لم تعرض عليه الأمانة من جهة أخرى وهم الملائكة ومعهم إبليس، فالأرض وما عليها من جبال والسماء قبل تهيئتها سبعاً على هذا الحال شاركت الإنسان في قضية الابتلاء بقبول الأمانة حين عرضها عليهم، أما الملائكة والجان فقد سبقت وجود الإنسان وابتلاها الله عزّ وجلّ في بيان موقفهم من قضية استخلافه في الأرض وما سيترتب عليها لاحقاً، ولذلك فإن خطاب الله لملائكته إني جاعل في الأرض خليفة إخبار لهم عن واقع سيحدث من جهة وابتلاء للمخاطبين به من جهة أخرى.

والعلة في ابتلاء هذه المخلوقات جميعاً تحقيق معاني العدل والحكمة بحيث يقوم الخلق على الحق والميزان قال تعالى:

---

١ محمود عبد الرازق الرضواني، الإنسان وبداية الكون، ص٦٢، ٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان: ٣٨ – ٣٩]. وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٧].

٦ – (والله عزّ وجلّ جعل تحقيق الأمانة التي حملها آدم عليه السلام وكرم النوع الإنساني بسببها متمثلة في قضية استخلافه في الأرض، حيث منحه مقومات الخلافة من العلم والحرية والاستطاعة وخوله في ملكه وكلفه بأمره ليمتثل لشرعه في كل ما منحه وأعطاه، هل سيكون أميناً راعياً وفق أحكام الله؟ أم سيكفر به ويتعالى عليه ولا يرد الأمر إلى الله عزّ وجلّ؟)[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٠ – ٣٤].

(لم يبين الله في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ متى كان خلق الملائكة أو الجن على وجه التحديد؟ غير أنهم كانوا أسبق من الإنسان في الوجود، ولا نعلم أيضاً كيف تحققت حكمة الله في ابتلاء الجان وذريته عند نشأتهم؟ أو كيف صار إبليس في منزلة الملائكة وكيف أصبح بينهم بحيث إن الخطاب إليهم يشمله أو يستثنى منه؟ فلم يثبت ذلك في نص مرفوع إلى النبي ﷺ)[2].

العلة في إعلام الملائكة بخلافة الإنسان:

الحكمة أو العلة في إعلام الله عزّ وجلّ للملائكة وإبليس باستخلاف الإنسان في أرضه كما ذكر البيضاوي أن ذلك كان امتحاناً لهم وإظهاراً لفضله، ليرى موقفهم ممن استخلفه في أرضه دونهم بعد أن كرمه وهيأ الكون من أجله بعدله، وشقّ له من اسمه ووصفه فكانت الأسماء عند تجردها تمثل قدراً مشتركاً بين الله وعبده، وإن كانت عند إضافتها تمثل قدراً فارقاً في توحيد الله عزّ وجلّ الذي ليس كمثله شيء، وبناءً على موقف الملائكة وإبليس، أو بتعبير آخر بناء على رد فعلهم تجاه حكمة ربهم سوف يتحقق فيهم العدل والإنصاف كما تحقق للإنسان في قضية الاستخلاف، فإعلام الله عزّ وجلّ لهم باستخلاف الإنسان إنما هو اختبار وامتحان يترتب عليه تقرير المصير وبيان حكمة الله عزّ وجلّ في

---

١ محمود عبد الرازق الرضواني، الإنسان وبداية الكون، ص٦٤.

٢ المرجع السابق، ص٧٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سائر ما يخصهم من أنواع التدبير)[1].

لما قال الله عزّ وجلّ للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ كان رد فعلهم أن قالوا لربهم:﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾ [البقرة: ٣٠]، والرد المتوقع من الملائكة ومعهم إبليس أن يكون بخلاف ما صدر منهم، كأن يقولوا مثلاً: أنت ربنا والكل عبيدك افعل بنا أو بغيرنا ما تشاء إنك العليم الحكيم.

أما قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾، تعميم لم يستثنوا فيه أحد حتى الرسل والأنبياء أو خاصة العباد من الأولياء، قال تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وقد أثبت لهم أن الإنسان بأوصافه التي جعلت للابتلاء مناسب لاستخلافه لا سيما لو علمه الأسماء: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ قَالَ ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣].

روى عن ابن عباس ﷺ قال: (إياكم والرأي فإن الله تعالى رد الرأي على الملائكة وذلك أن الله قال: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيه، قال: إني أعلم ما لا تعلمون)[2].

ومن الصعب الجزم بإجابة معينة لهذا السؤال لأنه لم يرد نص صريح يبين كيف علمت الملائكة أن الإنسان سيفسد في الأرض أو يسفك الدماء؟ فالسؤال موجه أيضاً للملائكة أنفسهم كتعقيب على ردهم.

(وهناك قول آخر وهو الأقرب عندي إلى الصواب لأنه مبني على معنى الخلافة ولا يحتاج إلا إلى المقارنة والنظر، فالملائكة علمت ذلك من معنى الاستخلاف نفسه لأن المستخلف في الشيء أمين عليه فيمكن أن يؤديه إلى صاحبه ويمكن أن يستحوذ عليه ويستأثر به لنفسه ظلماً وكفراً بالحقوق، فالعاقل يعلم أن الاستخلاف يلزم منه أن يكون المستخلف لديه إمكانية الوفاء وأداء الأمانة إلى صاحبها أو الغدر والقتل وسفك الدماء، فالملائكة علمت أن الإنسان يمكن أن يفعل ذلك لو استخلفه الله في الأرض، وهي عن نفسها ترى التعظيم المطلق لله عزّ وجلّ وهي أقدر على عدم العصيان، من أجل ذلك قالت: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾ [البقرة: ٣٠]، وكأنها تقول: إن أردت أن تستخلف فاستخلف من لا يعصيك)[3].

- فهل سيشعر الإنسان بمكانته عند الله عزّ جلّ وعظم المهمة التي كلفه بها والتي من أجلها أسجد له الملائكة،

---

١ الرضواني، الإنسان وبداية الكون، ص٧٤.

٢ ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م، ص٤٩، باب رأي الصحابة الكرام في الذم في القول بالرأي.

٣ الرضواني، الإنسان وبداية الكون، ص٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيدفعه ذلك إلى طاعة الله والإيمان والتفكر بإمعان أبعد هذا الفضل والتكريم يتجرأ عاقل على الكفر والعصيان؟

- فهل سيشعر الإنسان بأن الله عزّ وجلّ أمر الملائكة بالسجود لآدم ابتلاء للملائكة واختبار لهم في إظهار مدى صدقهم لما قالوا لربهم: ﴿ **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ فكانت حقيقة الابتلاء في قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ** ﴾، وهو أمر تكليفي وحكم تعبدي اختياري حتى لو كان بالسجود للإنسان، شأنه في ذلك التخيير الطاعة أو العصيان)[1].

١ الرضواني، الإنسان وبداية الكون، ص٨١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحاضرة الثالثة: خلق آدم عليه السلام:

علمنا أن الله هيّأ الأرض **لاستقبال الخليفة لتعميرها بالعمل والكد والسعي والاكتساب**، إذاً لا بد لهذا الإنسان من أن تخلق فيه رغبات وشهوات وغرائز وحاجات وأهواء ولذات وآلام، وتترك له حرية الاختيار والإرادة الحرة، قال تعالى للملائكة: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ**﴾[1]، هذه السورة تنزّلت على قلب رسول الله ﷺ في مكة المكرمة وترتيب نزولها رقمه ٣٨ وهي السورة التي بدأت بذكر قصة آدم – عليه السلام – وقد ذكرت غير مفصلة أما في سورة الأعراف وهي التي تلي سورة ص بالنزول فقال تعالى:

﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١**﴾[2].

وتفصل الآيات قصة آدم – عليه السلام – من غير ذكر أسباب خلقه وما هي مهمته على الأرض. ذكرت قصة آدم – عليه السلام – في سورة البقرة – الأعراف – الحجر – الإسراء – الكهف – طه – ص.

أما ذكر قصة آدم – عليه السلام – بحسب ترتيب النزول فقد جاء بالتسلسل التالي:

ص – الأعراف – طه – الحجر – الإسراء – الكهف – البقرة.

نص القرآن الكريم على إيراد قصة آدم – عليه السلام – لهدفين: إثبات الوحي، وتقرير نبوة مُحَمَّد ﷺ ووردت قصة آدم في السّور والآيات التالية:

١- في سورة ص: من الآيات ٦٧ إلى ٨٥. ورقمها حسب أسباب النزول (٣٨).
٢- في سورة الأعراف: من الآيات ١١ إلى ٢٥. ورقمها حسب أسباب النزول (٣٩).
٣- في سورة طه: من الآيات ١١٥ إلى ١٢٧. ورقمها حسب أسباب النزول (٤٥).
٤- في سورة الإسراء: من الآيات ٦٠ إلى ٦٥. ورقمها حسب أسباب النزول (٥٠).
٥- في سورة الحجر: من الآيات ٢٦ إلى ٤٤. ورقمها حسب أسباب النزول ٥٤.
٦- في سورة الكهف: الآية ٥٠. ورقمها حسب أسباب النزول (٦٩).
٧- في سورة البقرة: من الآيات ٣٠ إلى ٣٩.

خلق آدم – عليه السلام:

قصّ الله عز وجل قصّة آدم – عليه السلام – كما أورد قصص كثير من الرسل والأنبياء في كتابه الكريم قال

---

(١) سورة ص، الآية: ٧١– ٧٢

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾[1].

ولأنّ القَصَصَ القرآني هو القصص الحق، وهو أحسن القَصص، قصّه الله – عزّ وجل – على رسوله مُحَمَّد ﷺ ليثبّت به فؤاده، ولعَلّ الناس يتعظون ويعتبرون من هذه القَصَصَ فتكون عبرة لأولي الألباب.

أما مصادر استمداد القَصص القرآني فهي مصدران: المصدر الأول: ما كان موثوق المعلومات، صادق الأخبار، فالمصدر الأول اليقيني: ما هو موجود في الكتاب الكريم، والمصدر الثاني: هو ما صَحَّ من حديث رسول الله ﷺ وكل ما سوى ذلك فهو مردود لا يقبل تصديقه ولا الأخذ به[2].

سورة ص: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝٧٢ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝٧٤ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝٧٦ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ۝٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۝٨٨﴾[3].

سورة الأعراف: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝١٢ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝١٣ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝١٥ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝١٧ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٨ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م، ط٢، ص ٤١ – ٤٢ بتصرف.

(٣) سورة ص، الآية: ٦٧— ٨٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

سورة طه: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾[2].

سورة الإسراء: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾[3].

سورة الحجر: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١ — ٢٥

٢ سورة طه، الآية: ١١٥ - ١٢٧.

٣ سورة الإسراء، الآية: ٦٠ — ٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

سورة الكهف: قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾ ﴿٥٠﴾[2].

سورة البقرة: قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3] ﴿٣٩﴾.

ذكر الله – عزّ وجل – بحسب ترتيب نزول الآيات في قصة آدم – عليه السلام – المحور الرئيسي، وهو عدم سجود إبليس لآدم، وعدم طاعته لربه، غروراً بمادة خلقه واحتقاراً لمادة خلق آدم، وأهمّ أمر ركّز عليه الله تعالى في القصة هو توعّد إبليس في غواية الإنسان. كل هذه القصص ذكرت في السور المكّيّة، أي في مكة المكرمة. والهدف الرئيسي والأساسي منها هو إبتعاد الناس عن وساوس الشيطان، إذ لم يكن للمسلمين دولة قد تأسست بعد، فهم ما زالوا تحت اضطهاد المشركين في مكة فأنزل الله الآيات لتحث المؤمنين على أن يصبروا على تعذيب قريش لهم.

---

١ سورة الحجر، الآية: ٢٦ – ٤٤.

٢ سورة الكهف، الآية: ٥٠.

٣ سورة البقرة، الآية: ٣٠ – ٣٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن حين أصبح المؤمنون في المدينة، ذكر الله – عزّ وجل – لنبيّه ﷺ الهدف الأساسي من خلق الإنسان، وحدّد له مهمّته في هذه الحياة، وعرّفه الطريق المستقيم الذي ارتضاه له، وعرّفه بعدوّه اللدود إبليس، وكيف يحاول أن يقطع عليه جميع السبل كما فعل مع الأمم السابقة، ونبّهه ضرورة اتباع التشريع الذي ينظّم حياة الناس، إذ لا بدّ من العيش في مجتمع متعاون ومتناسل.

يعتبر آدم– عليه السلام – أول مخلوق من البشر وجد على الأرض، فهو أبو البشر جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم.

أما عرض مراحل تطوّر خلق آدم–عليه السلام – فجاء بحسب الآيات والأحاديث:

المرحلة الأولى: من حفنة تراب:

قال تعالى في خلق آدم –عليه السلام – من تراب الأرض: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[1]

وشاء الله الحكيم أن يكون خلق آدم –عليه السلام – من جميع تراب الأرض، ففي حديث رسول الله ﷺ عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– عن رسول الله ﷺ قال: (**إنّ الله تعالى خلق آدم من قبضة، قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيّب، وبين ذلك**) [2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[4].

المرحلة الثانية: خلقه من طين:

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾[5]، وهو الطين الرخو.

المرحلة الثالثة: هو الطين اللازب:

واللازب هو الثابت، الشديد الثبوت، المتماسك والشديد، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾﴾[6]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾[1]

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٥

(٢) رواه أبو داود، حديث رقم: ٥٦٩٣، والترمذي، برقم: ٢٩٥٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٩

(٤) سورة الروم، الآية: ٢٠

(٥) سورة ص، الآية: ٧١

(٦) سورة الصافات، الآية: ١١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد كان إبليس موجوداً في الجنّة، يرى مراحل خلق آدم –عليه السّلام – قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾[2]

المرحلة الرابعة: خلقه من صلصال من حمأ مسنون:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾[3]، والصلصال هو الطين الجاف اليابس، لأنه مشتق من الصلصلة، وهو ما يُصدر الصوت الشديد. والطين اليابس صلصال لأنك إذا نقرته، أو ضربت عليه فإنه يُخرج صوتاً.

والحمأ هو الطين الأسود المسنون أي المتغير، فالحمأ المسنون هو الطين المنتن والأسود المتغيّر.

المرحلة الخامسة: مرحلة خلقه من صلصال كالفخار:

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾[4].

والصلصال هنا هو الطين اليابس، وسمّي صلصالاً لأنّه يخرج صوتاً.

هذه المراحل الخمسة كانت قبل مرحلة نفخ الروح، بقي آدم جسداً مصوّراً، وتمثالاً مجسّماً بدون روح ولا حياة، مدّة من الزمن لا يعلمها إلا الله، وبعد ذلك نفخ الله تعالى فيه الروح.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[5].

المرحلة السادسة: آدم قبل نفخ الروح:

ولما كان آدم جسداً تمثالاً في الجنّة، كان إبليس ينظر إليه ويتعجّب.

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال: **(لما صوّره في الجنّة، تركه، ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطوف به، وينظر إليه، فلمّا رآه أجوف، عرف أنّه خلق لا يتمالك)**[6]

ومعنى لا يتمالك: لا يملك نفسه عند الغضب، أو عند الشهوة، أي تضعف قواه عند الغضب أو عند الشهوة.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (... **وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة، في**

---

(١) سورة ص، الآية: ٧١

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٨

(٤) سورة الرحمن، الآية: ١٤

(٥) سورة الحجر، الآية: ٢٨–٢٩

(٦) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٦١١، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آخر الخلق، في آخر ساعةٍ من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل) [١].

المرحلة السابعة: مرحلة خلق آدم:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن رسول الله ﷺ ، قال: **(خَلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً. ثمّ قال: إذهب، فسلّم على أولئك النفر –وهم نفرٌ من الملائكة جلوس– فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيّتك وتحيّة ذريّتك.**

فذهب فقال: السلام عليكم.

فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله.

فكل من يدخل الجنّة على صورة آدم، فلم تزل الخلق تنقص حتى الآن) [٢].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه –، عن رسول الله ﷺ قال: **(لما خلق الله آدم، ونفخ فيه، عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم)** [٣].

وفي رواية أخرى: عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، عن رسول الله ﷺ قال: **(خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها)** [٤].

وأخبرنا رسول الله ﷺ أن أول ما خلق من الإنسان هو عجب الذنب، وهو آخر فقرات العمود الفقري، من أسفل الظهر، وهو المعروف باسم "العصعص"، عن أبي هريرة– رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال: **(ليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة)** [٥].

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٧٨٩، كتاب: صفات المنافقين، باب: ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٣٢٦، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم عليه السلام وذريته. ورواه مسلم، حديث رقم: ٢٨٤١.

(٣) رواه الترمذي، حديث رقم: ٣٣٦٨.

(٤) رواه أبي داود، حديث رقم: ١٠٤٦.

(٥) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٩٣٥، وانظر حديث رقم: ٤٨١٤، كتاب: سورة النبأ، باب: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ ورواه مسلم، حديث رقم: ٢٩٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعندما قال الله لإبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [1] أجاب إبليس قائلاً: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [2]، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [3].

وجواب إبليس (أنا خير منه) يدلّ على التكبّر والاستعلاء والغرور، والأنانيّة والافتخار، والاعتداد بالنفس، وكلّها صفات مهلكة، من خلالها يتمكّن إبليس من إغواء وإضلال ذريّة آدم، وعندما يرى إبليس الإنسان المؤمن يعبد الله ويسجد له، يندم على رفضه السجود لآدم، ندم عجز وحسرة لأن رفضه سبّب له طرد الله له من الجنة، وغضبه عليه ووعد له بعذاب النار.

عن أبي هريرة– رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ **(إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله، أُمِر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنّة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار)** [4].

وأصرّ إبليس على عصيانه وكفره وتمرّده، وتعهّد لله أن يقوم بإغواء بني آدم وذريته (لأنهم السبب في إخراجه من الجنّة) ووعد أن يبذل أقصى جهده في سبيل إبعاد ذريّة آدم عن **صراط الله المستقيم**، وأخذهم إلى طريق الكفر والعصيان. قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [5]، وقال أيضاً: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [6].

هذا هو سرّ عداوة إبليس لآدم وذرّيته، وهذا هو العهد الذي قطعه إبليس على نفسه أمام ربه الله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [7]، يقول إبليس لربه: أرأيت آدم، هذا الذي كرّمته وفضّلته عليّ،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢

(٣) سورة ص، الآيات:٧٥—٧٦.

(٤) رواه مسلم، حديث رقم: ٨١، وانظر الأحاديث الصحيحة رقم ٢٢.

(٥) سورة الأعراف، الآيات:١٦— ١٧.

(٦) سورة ص، الآيات:٨٢— ٨٣.

(٧) سورة الإسراء، الآية:٦٢ — ٦٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولعنتني بسببه، سلِّطني على ذريّته، ومكّني منهم حتى أريك ماذا سأفعل بهم: لأغوينّهم، وأضلّنهم، وأحتنكنّهم، وأسيطرّن عليهم. ومعنى لأحتنكنّ ذرّيته: لأسيطرّن عليهم، والكلمة مأخوذة من "الحنك" وحنك الدابة هو الذي يوضع فيه لجامها ومقودها لتقاد به. فكأن إبليس يعتبر جنوده وأتباعه من ذرّية آدم، من البهائم والدواب، يضع في حَنَكِ كلٍّ منهم خطاماً ورسناً، يقوده به، وذاك المسكين يسير خلفه مستسلماً منقاداً ذليلاً، كما تسير الدابة خلف صاحبها.

وقد سلّط الله إبليس على ذرّية آدم، ومكّنه منهم وجعل له مجالا لإغوائهم والوسوسة لهم، وذلك ابتلاءً وامتحاناً لهم.

ومن أسلحة الشيطان في إغواء بني آدم، التي ذكرتها الآيات:

١- ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ إنّ إبليسَ يؤثّر في جنوده بصوته، حيث يزعجهم ويستفزّهم به. قال الراغب في الإستفزاز بالصوت: والاستفزاز هو الإزعاج والتأثير. يقال: استفزّه بصوته أي أزعجه بالصوت. وصوت الشيطان هو كلُّ الأصوات والعبارات المحرّمة التي تنتشر في حياة النّاس، بهدف التأثير فيهم، ودعوتهم إلى التخلّي عن منهاج الله، وارتكاب ما نهى الله عنه. وما أكثر هذه الأصوات الشيطانية الصاخبة المجلجلة في هذا الزمان.

٢- ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ إبليس يجلب على أتباعه وجنوده، ويسوقهم أمامه، ويصبح عليهم، كالراعي الذي – يجلب على غنمه، ويسوقها أمامه، خيل الشيطان فرسانه الذين يركبون الخيول ويسمّون الخيالة. ورَجِلُ الشيطان: جمع راجل، وهم المشاة المراجلون الذين يمشون على أقدامهم.

٣- ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ إنه يشارك حزبه في أموالهم وفي أولادهم. (الأموال جمعها من حرام وانفاقها في حرام والأولاد بأن لا يراعوا منهج الله في الزواج والتناسل، فلا يكون الزوج ولا الزوجة من الصالحين، ولا يقيمون أسرتهم على منهاج الله، ومن ثمّ لا يكون أولادهم صالحين، وإنما يكونون فاسدين ضائعين، أسرى للشيطان.

٤- ﴿وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ إنّ إبليس يَعِدُ جنوده الوعود الفارغة، ويُمنّيهم الأماني الخيالية. قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[1]، ورغم كثرة الأسلحة في إغواء جنده من ذرية آدم فإنه عاجز عن إغواء عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا)

(١) سورة النساء، الآية:١١٩ – ١٢٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإبليس يعلم عجزه عن التأثير في عباد الله الصالحين. (١)

كيف سيكون موقف بني آدم من إبليس، وهل سيُغويهم وينتصر عليهم بالرغم من أن الله ميّزهم بالعقل وعلّمهم الأسماء كلّها، وبالرغم من أخذه الميثاق عليهم، وبالرغم من تسليح الله لهم بالفطرة التي جعلها فيهم؟ وما هو الميثاق الذي أشهدهم الله تعالى عليه وأقرّوا هم بمضمونه؟

عندما خلق الله عزّ وجلّ آدم–عليه السلام –، جمع بني آدم (ذريته الكائنة من بعده)، وعرّفهم بنفسه، وأنه وحده لا شريك له، ولا إله غيره. قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ**﴾ (٢)

روى الإمام أحمد أثراً عن أُبَيّ بن كعب، في قول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ**﴾، قال: " جمعهم فجعلهم أرواحاً، ثم صوّرهم، فاستنطقهم فتكلّموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قال: فإني أُشْهِدُ عليكم السموات السبّع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، **إعلموا أنه لا إله غيري، ولا ربَّ لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رسلي يذكّرونكم عهدي وميثاقي، وأُنْزِلُ عليكم كتبي، قالوا شهدنا بك ربنا وإلهنا، لا ربّ لنا غيرك. فأقرّوا بذلك** ". (٣)

هذا الميثاق هو أساس فطرة التوحيد في كل إنسان، فالفطرة التي فطر الله الخلائق عليها اقتضت أن تلجأ النفوس إلى قوّة عليا عند ضعفها، وتطلب غنيّاً أعلى عند فقرها، وتوّاباً رحيماً عند ذنبها، وسميعاً قريباً بصيراً مجيباً عند سؤالها، وكلُّ ذلك يدعو النفس إلى التوحيد والإسلام، والعودة بالضرورة إلى الملك القدوس السلام. (٤)

ومثل هذا الإحساس الفطريّ كامن في النفس وإن لم يعلنه الشخص، فإن خلا القلب من موانع الطبع المألوفة، ومن التأثّر بالاعتقادات الشركية فإن قلبه يتوجّه تلقائياً إلى ربّه بالعبودية قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾**﴾ (٥).

قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه، كما**

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص ١١٦ — ١١٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٣) مسند الإمام أحمد، كتاب مسند الأنصار، رقم الحديث ٢٠٢٨٣.

(٤) الرضواني، منة القدير، مكتبة سلسبيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ— ٢٠٠٩م، ج٢، ص ٥٦٨ بتصرف.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تنتج بهيمة[١] جمعاء[٢]، هل تحسّون فيها من جدعاء) [٣]، ثمّ يقول: (.. **فطرة الله التي فطر الناس عليها)**[٤] **هذه هي فطرة الإيمان.**

(١) بهيمة: أي الناقة إذا ولدت .

(٢) جمعاء: أي بهيمة سليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها فلا جدع ولا كي.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ١٣٥٨، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، فهل يصلى عليه. ورواه مسلم، حديث رقم: ٢٦٥٨.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الرابعة: مِمَّ يتكون الإنسان عموماً؟؟

يتكوّن الإنسان من الأقسام والأجزاء التالية:

١- **الجسد:** هو ما خلقه الله –عزّ وجلّ – من تراب وماء فكان طيناً وبعدها صار طيناً لازباً ثمّ تُرك ليجف في الهواء، فكان صَلصالاً، ثمّ صلصالاً من حَمَإٍ مَسْنون، ثمّ صلصالاً من فخّار.

٢- **الروح:** ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾[١]، الروح بها تكون حياة الإنسان وبخروجها يكون الموت، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[٢].

٣- **الحواس:** هي منافذ للإنسان يتعرّف بواسطتها إلى ما يحيط به من حاجات وأشياء ومخلوقات، ففي داخل الإنسان قوة إدراكية كبيرة ولكن إدراكها لا ينبع من داخلها وإنما يأتيها من العالم الخارجي عنها. ولهذه القوة الإدراكية في الإنسان منافذ تطل منها على العالم الخارجي ألا وهي (الحواس الخمس): حاسة البصر – وحاسة السمع – وحاسة الشم – وحاسة الذوق – وحاسة اللمس. كما لها صلات أخرى تطل منها على عالم النفس[٣].

٤- **العقل:** هو ذاك الفكر والإحساس الذي يجعل الإنسان العاقل يحبس نفسه ويردّها عن هواها. والتّعقّل ضدّ الحماقة وسمّي **العقل عقلاً، لأنه يعقل (يحجز ويمنع) صاحبه عن التورّط في المهالك، أي يحبسه، والعقل في اللغة: هو الحِجْر والنهي وهو ضِدُّ الحمق والجهل**[٤].

أما العقل في القرآن: فقد قال الله تعالى فيه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[٥].

وقد بين القرآن الكريم أن العقل الفطري هو العقل الذي يميّز الأمر البديهي على مقتضى مدارك اليقين المعروفة.

وقد ورد العقل بمعنى قوّة التمييز التي تقوم بالتعقّل والتروّي، ففي البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال:

---

(١) سورة ص، الآية: ٧١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

٣ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م – ١٤٠٣هـ، ص١٣.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، ١١/٤٥٨.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خرج رسول الله ﷺ في عيد الأضحى أو عيد الفِطْر إلى المصلّى، فمرّ على النساء فقال: «**يا معشر النساء تصدّقنّ، فإنّي أُريتُكُنَّ أكثر أهل النار**، فقلن: وبِمَ يا رسول الله؟ قال: **تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْن العَشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل من إحداكنّ**، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: **أليس شهادة المرأةِ مثل نصف شهادة الرجل؟** قلن: بلى. قال: **فذلك من نقصان دينها**»[1].

أما العقل في المعنى الإصطلاحي العقدي فهو غريزة وضعها الله –عزّ وجلّ – في قلوب الممتَحَنين من عباده لا نعرف كيفيّتها، ولكن نتعرف على وجودها من قول اللسان وأفعال الإنسان[2].

والدليل على أنّ العقل موجود في القلب قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾**﴾[3]، أثبت العلم الحديث أنّ العقل كائن في القلب: وقد ساد عند كثير من علماء الطِّبّ فهما مفاده أن القلب عبارة عن مضخة ميكانيكية للدّم، وأن مصدر العاطفة والمشاعر هو العقل، والمراد به المخ وليس القلب...

وقد جاءت معطيات العلم الحديث أخيراً لتؤكد أنّ العقل في القلب، وأنّ القلب هو المهيمن المتحكّم في المشاعر والسلوك، ففي آخر الأبحاث العلمية حول الخلايا العصبية وعلم الأعصاب، ظهرت تفسيرات علمية محضة عن محفزات السلوك الإنساني وبواعثه كمسألة إخلاصه وولائه، والثقة والالتزام، والتغيّر السلوكي أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البشرية، وكل هذه التفسيرات عادت لتصب في بوتقة الدليل النصي الظاهر من الوحي في نصوص القرآن والسنة.

في القديم، كانوا يقولون إن إشارات حواسنا الخمسة تنتقل عبر الجهاز العصبي بدائرة كهربائية مباشرة إلى المخ، فنفكر فيها ثمّ نستجيب بسلوك معيّن، وقد ثبت الآن خطأ هذه الفرضية، فالآن يقولون إننا عندما نقابل شخصاً لأول مرة، أو نواجه تحدّياً، أو مشكلة، أو عندما تلوح لنا فرصة، فإن الموقف سواء كان تجربة، أو خبرة لا تذهب مباشرة إلى المخ لكي نفكّر فيها، بل تأتي من الحواس المادية وتذهب في البدء إلى الشبكة العصبيّة في القلب وليس إلى المخ، فالمكان الذي تذهب إليه كل مؤثرات المواقف الإبتلائية هو القلب لا المخ.

وهناك اكتشاف آخر أدهش الكثيرين، وهو أن دقات القلب ليست نبضات ميكانيكية لمضخة، بل لديها لغة ذكية بالغة الذكاء، تؤثر على كيفية فهمنا، وتفاعلنا مع العالم الخارجي. إن الدراسات الحديثة في علم الأعصاب توضح أن كل خفقة للقلب يتدفق منها شلال عصبي يرمز له بهرمون التوازن، ويطلق من خلايا عصبية من القلب لترسل فوراً إلى

---

١ لسان العرب، لابن منظور، ٤٥٨\١١.

(٢) الرضواني، محمود عبد الرزاق، منة القدير، مكتبة سلسبيل، القاهرة، المجلد الثاني، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ص ٢٥٠.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المخ عبر العصب الشوكي.

ويعتبر هذا الهرمون، من خلال الدراسات الحديثة، الباعث الأساسي للسلوك الداخلي لجميع أعمال القلوب كالإخلاص والنيّة والمحبة والولاء والقبول والبغض والكره والحسد والحقد وغير ذلك، ومن حكمة الله تعالى أنّ جعل العقل صِمامَ الأمان وميزانه، يوازن به بين مقدار الخير والشر، وجعله الله في قلب الإنسان يتحسّن النظر في الأمور والأشياء فيحرص على ما ينفعه ويصل به إلى محض الإيمان (١).

وليعلم الإنسان أن الله –عزّ وجلّ – حين كرّمه على باقي خلقه، حين قبول الأمانة، فاستخلفه في أرضه، وأستأمنه في ملكه في دار الابتلاء والامتحان، هذه المعرفة لا يمكن أن يصل إليها العقل بمفرده، لأن ما يدرك الإنسان بعقله، كما ورد في القرآن أمران اثنان:

الأمر الأول: وهو معرفة الأسماء، وحدود الأشياء. والعلم وهبٌ تلقائيٌ في حياته إلى يوم مماته. لذلك رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة منهم: الغلام حتى يحتلم، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ ۝٢ ٢. وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ٣.

أما **الأمر الثاني:** و**الذي يجب على العقل إدراكه، فهو العلم بما جاءت به الرسل السماوية من أحكام شرعية وهداية دينية. فالله –عزّ وجلّ – بعد أن علّم آدم – عليه السّلام – وتحقّق فيه الأمر الأول، كلّفه بمنهج شرعيّ يلتزمه فيما استخلفه واسترعاه واستأمنه، وابتلاه بأن يفعل أموراً محدّدة، ولا يفعل أموراً أخرى فقال تعالى:** ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٣٥ ﴾(٤).

وقال تعالى بعدما أنزلهما من الجنة: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ

(١) الرضواني، محمود عبد الرزاق، منة القدير، المجلد الثاني، ص ٢٥٤ – ٢٥٦ – ٢٥٧ بتصرف.

٢ سورة الإنسان، الآية: ٢.

٣ سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[1] [2].

فالعقل على هذا المعنى، ينطبق على الإرادة الحازمة القويّة القادرة على ضبط النفس والمستندة إلى نتائج العقل العلمي الواعي.

والعقل ينقسم إلى قسمين [3]:

قسم عقل علميّ:	قسم عقل إرادي:
مثل الإنسان المؤمن يعقل معرفة علمية ويتأكد منها لكنه يكون عاجزاً عن ضبط النفس وحبسها عن الانطلاق مع أهوائها وشهواتها التي تدفعه إلى المهالك وتقذف به إلى سوء المصير. قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾[4]	مثل الإنسان المؤمن يعقل معرفة علمية ويتأكد منها فيمسك بإرادته نفسه عن الهوى والشهوات فينجوا العقل ويسلم قال تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾[5]

فالعقلاء هم من استفادوا بنعمة العقل في معرفة ربهم ومعبودهم فوحدوه، واستدلوا بغناه الذاتي وفقر جميع الخلائق إليه، وأنه لا تكلان إلا على الله، فلا يرجعون بحولهم وقوتهم إلا إليه، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله، فآمنوا بقدرته واستقاموا على شريعته فهم حكماء عقلاء صدقوا مع أنفسهم، وصدقوا مع ربهم، وصدقوا مع نبيهم يورثهم الله البصيرة في قلوبهم، قال تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾[6]

---

(١) سورة طه، الآية:١٢٧.

(٢) الرضواني، منّة القدير، المجلد الثاني، ص ٢٥٩ — ٢٦٤ بتصرف.

(٣) الميداني، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ط٣، الجزء الأول، ص ٣٢٨ — ٣٢٩ بتصرف.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أ- أمّا **القلب من الجانب المحسوس**[1]: فهو الآلة الخارقة، التي لا تعرف التعب، إنها عضلة من أعقد العضلات بناءً، وعملاً، وأداءً، وهي من أمتنها وأقواها، تنقبض وتنبسط ثمانين مرة في الدقيقة. إنه مضخة مزدوجة تضخ الدم الذي يحمل الغذاء والوقود إلى كل خليّة، ونسيج، وعضو، وجهاز عن طريق شبكة من الأوعية، يزيد طولها على مئةٍ وخمسين كيلو متراً. يضخّ القلب ثمانية آلاف لترٍ في اليوم الواحد، أي ما يعادل ثمانية أمتار مكعبةٍ من الدّم، ويبدأ عمل القلب منذ الشهر الثاني من حياة الجنين ويستمر دون توقف حتى الموت.

وينفرد القلب في استقلاله عن الجهاز العصبيّ، فتأتمر ضرباته، وتنتظم بإشارة كهربائية من مركز توليد ذاتيّ.

وقلب المرأة أصغر من قلب الرجل، لكن نبضها أسرع من نبضه.

ب – **أما القلب من جانبه الغيبيّ**: فهو الذي تتحقّق فيه أحد مقوّمات الإختيار في الإنسان، فكما وصفنا سابقاً الحكمة من خلق الإنسان للامتحان والابتلاء وأنّه –عزّ وجلّ – (خلق فيه مقوّمات للعيش على الأرض لإعمار الكون ومنها أن جعل لهم إرادة حرة، وسلطة على بعض ما وضع في ذواتِنا من قوى وطاقات وأشياء، أمانة على سبيل الإعارة، وأذن لنا بالتصرف فيها بإرادات حرة). [2]

فمن مظاهر الحكمة الإلهية، ومقوّمات الحرية والمسؤوليّة، **أن الإنسان له حرية الإختيار**، وبناء عليه فإن القلب له في جسم الإنسان المكان الأول، وهو المعوّل عليه في جميع الأمور، فهو القائد، والجوارح هي الجنود له والخدم، وهو الآمر الناهي، والأعضاء هم أتباع له وحشم، **والقلب هو الجانب المدرك من الإنسان، وهو المخاطب والمطالب، والمعاتب، وهو محل العلم، والتقوى، والإخلاص، والذكر، والحب، والبغض، والخطرات، وهو موضع الإيمان والكفر، والإنابة، والإصرار، والطمأنينة والاضراب.**

ثم يأتي معنى القلب في القرآن الكريم بحسب قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾**﴾ [3]، وفي حديث رسول الله ﷺ: (**ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسم كله، ألا وهي القلب**) [4].

أمّا الجانب الغيبيّ من القلب فهو تابع للروح، وهو أساس كل فعل إراديّ في جسم الإنسان، وينقسم الجانب

---

(١) الرضواني، محمود عبد الرزاق، منة القدير، المجلد الثاني، ص ١٢٤ – ١٢٨، بتصرف

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، حديث رقم: ٤٩٦٨.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٤) رواه البخاري، حديث رقم: ٥٢، ١/ ٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغيبيّ إلى منطقتين[1]:

١- مركز الخواطر وحديث النفس.

٢- منطقة الكسب وأعمال القلوب والحكمة في خلق مقوّمات الاختيار في الإنسان.

أولاً: مركز الخواطر وحديث النفس: (منطقة حديث النفس مصدر الخواطر والأفكار في القلب).

وينقسم إلى ركنين:

الركن الأول: نازعان. وهما: نازع الخير والتقوى، ونازع الشر والفجور.

والركن الثاني: هاتفان. وهما: لمة القرين (قرين الشيطان)، ولمة الملك (قرين الملك).

حديث النفس: هذه المنطقة مصدر الخواطر والأفكار، ومحل الإلهام في الإنسان، وهذه المنطقة لا حساب لها على ما يدور فيها من خواطر أياً كانت، عن أبي هريرة–رضي الله عنه – أن النبيّ – ﷺ – قال: **(إنّ الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم يتكلموا به أو يعلموا به)** [2].

الدليل على أن منطقة حديث النفس في القلب؟

١ – قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا** ﴾ ۝٨ [الشمس: ٧ – ٨].

٢ – قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾ ۝١٦[ق: ١٦].

ولا يوجد مصدر للعلم بالغيب إلا ما ورد من الخبر الصادق عن الله ورسوله ﷺ فنصدق الخبر تصديقاً جازماً على وجه اليقين، ونؤمن به كحقائق بينها الخالق ربّ العالمين. أما الدليل على أن الخواطر تدب في القلب وأن منطقة حديث النفس كائنة في قلب كل إنسان، فقد ورد في الحديث القدسي الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن الله تعالى: **(أعدّدت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)**[3].

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا قضي أقبَل، فإذا ثوبَ بها أدبَر، فإذا قضي أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه، فيقول: اذكر كذا وكذا، حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً؟ فإذا لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً، سجد سجدي السهو)**[4].

---

(١) الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٢٧.

٢ رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون ٥\٢٠٢ (٤٩٦٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر ١\١١٦ (١٢٧).

٣ البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة وأنها مخلوقة (٣٠٧٢).

٤ رواه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣١١١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأحاديث واضحة الدلالة في كون الخواطر ترد على القلب في كل أفراد النوع الإنساني، وأن القلب هو محل توارد الخواطر التي تتراءى لكل إنسان[1].

الركن الأول: (في منطقة حديث النفس النازعان: دلت نصوص الوحي أن الله عزّ وجلّ ابتلى العباد بإيجاد الخواطر في القلب، وأن مصدر تلك الخواطر يتكون من ركنين اثنين، هما النازعان والهاتفان، والأول منهما يتكون من باعثين اثنين يسهمان في تشكيل مجموع الخواطر والأفكار، والهاتفان يهتفان بالخواطر في لمتين اثنتين بنوعين من الدواعي، أحدهما يدعو ويحض على فعل الخير، والآخر يدعو ويحض على فعل الشر)[2].

النازعان: في الركن الأول في منطقة حديث النفس، وهما غريزتان متقابلتان، ونازعان متضادان، ليس لأحدهما غلبة على الآخر من حيث صلاحية العمل في بعث الخواطر في قلب الإنسان.

---

١ الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٣١.

٢ الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٣٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الركن الأول النازعان

نازع الخير	نازع الشر
نازع التقوى	نازع الفجور
نازع الإيمان	نازع العصيان
إلهام	هواجس
العلم واليقين	خاطر الهوا والاشتياء
خاطر الحق	خاطر النفس
خاطر الآخرة والزهد	خاطر الطمع في الدنيا
خاطر المحمود	خاطر المذموم

وأياً كان المصطلحات التي أطلقت على النازعين؛ فإنها جميعاً تشير إلى وجود غريزتين متقابلتين؛ ونازعين نفسيين متضادين؛ مغروزين في قلب كل إنسان على وجه الابتلاء وتحقيق الحكمة في خلق الاختيار للإنسان[1].

الدليل على النازعين ما ورد في وصف النفس في القرآن: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ ﴿٧﴾.

قال إن الجوزي: (الإلهام إيقاع الشيء في النفس)؛ قال سعيد بن جبير: (ألزمها فجورها وتقواها).

قال برهان الدين البقاعي: الخواطر الواردة على الإنسان قد تكون وسوسة، وقد تكون إلهاماً، والإلهام تارة يكون من الله بلا واسطة، وتارة يكون بواسطة ملك، ويكون كل منهما في القلب، والوسوسة تارة من الشيطان، وأخرى من الهوى، وكلاهما يكون في الصدر[2].

وقال ابن القيم: (هيأ الله الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والاستعداد ثم ذكر هذه الآية ثم قال: (أخبر الله عن قبول النفس للفجور والتقوى)، وإن ذلك نالها منه امتحاناً واختباراً، ثم خصّ بالفلاح من زكاها، فنماها وعلاّها، ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله، وأنبياءه وأولياؤه، وهي التقوى، ثم حكم بالشقاء على من دساها، فأخفاها وحقرها وصغرها وقمعها بالفجور)[3].

ويذكر أبو القاسم القشيري أن الخواطر خطاب يرد على الضمائر، وهو قد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء

---

١ الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٣٨.

٢ الرضواني، منة القدير، ص١٣٨.

٣ ابن القيم، مدارج السالكين، المجلد الثاني، ص٣٨١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه. فإذا كان من الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس، وإذا كان من الشيطان فهو: الوسواس، وإذا كان من قبل الله سبحانه وإلقائه في القلب فهو خاطر حق، وجملة ذلك من قبيل الكلام النفسي، فإذا كان من قبل الملك، فإنه يعلم صدقة بموافقة العلم والشريعة، وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره يدعو إلى المعاصي، وإذا كان من قبل النفس فأكثره يدعو إلى اتباع شهوة، أو استشعار كبر، أو ما هو من خصائص النفس وأوصفها[1].

أما معنى أوزعني: ففي قوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ [النمل: ١٩].

ومعنى أوزعني ألهمني، يقال: أوزعته بالشيء أغريته به فأوزع به فهو موزع به، فأوزعني أي استلهمته فألهمني[2].

وأغلب المفسرين على أن الله ابتلى الإنسان بإيجاد نازعين في النفس أحدهما للفجور والآخر للتقوى.

[1] الرضواني، منّة القدير، المجلد الثاني، ص١٣٩.

[2] لسان العرب، لابن منظور، ٨\٣٩٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

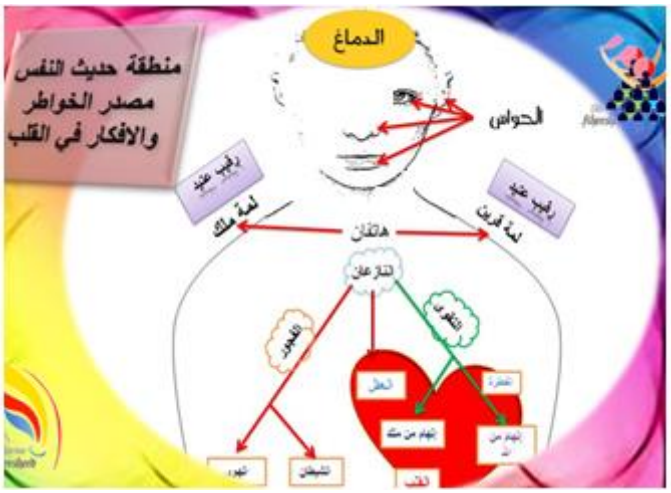

(والنازعان كائنان في القلب في منطقة حديث النفس، نازع الخير يلهمه الله عزّ وجلّ خواطر الخير التي تدعوه إلى الآخرة وتحضه على تقوى الله، ونازع الشر يلهمه الهوى خواطر الشر ويحضه على الرغبة في المشتهيات حتى تُعبد من دون الله، والنازعان يسهمان في تشكيل الخواطر خيرها وشرها بهذه المنطقة.

نازع الشر هو مصدر خواطر الشهوات في الإنسان وغايته وبغيته متاع الحياة الدينا، فالهوى يدفع النفس ونازع الشر فيها إلى التعلق بالحياة الدنيا ومشتهياتها حتى يعبد الإنسان هواه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠][1].

والقلب[2] كما يتضمن منطقة حديث النفس، يحتوي أيضاً على غريزة العقل كوسيلة للمعرفة والتمييز، ويحتوي على منطقة الكسب التي تمثل منبع الاختيارات والإرادات والقصود والنيّات وجميع أعمال القلوب التي يحاسب عليها الإنسان، قال تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وقد وصف الله – عزّ وجلّ – القلب[3] بأنه يمرض ويقسو بالنفاق، وأنه يصح بالصدق والإخلاص والتوحيد، وقد يغدو القلب كالبيت المقفل، فهو لا ينفتح لواردات الخير والهداية إلا بمفاتيح خاصة.

وقد يشتد الأمر حتى تختم الأقفال ويطبع عليها، وقد تعمى البصيرة عماءً تاماً، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤ –

---

١ الرضواني، منة القدير، ص١٤٢.

٢ الرضواني، محمود عبد الرزاق، منة القدير، المجلد الثاني، ص٢٩٠، بتصرف.

٣ الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص٢٧٣ – ٢٧٩ بتصرف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

.[١٢٥

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠].

﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج: ٥٣ – ٥٤].

وقد يصل إلى القلب وينفذ إلى داخل منطقة حديث النفس، ما يكون شديداً من انفعالات النفس وعواطفها وأخلاقها، فيكون كسب الإنسان وفق إرادته التي هي أساس الاختيار وسيدة أعمال القلب، فيتحرك البدن تبعاً لهذا الاختيار ونتيجة لهذه الانفعالات.

أما الجانب الثاني الغيبي الذي ينقسم فيه القلب هو منطقة الهاتفان:

الهاتفان: وتلك الأركان جعلها الله عزّ وجلّ من مقومات الاختيار والحرية؛ والركن الثاني لنشأة الخواطر في منطقة حديث النفس؛ ويتمثل في الهاتفين؛ هذان الهاتفان القرينان؛ متقابلان ومتضادان؛ ليس لأحدهما جبر أو غلبة على إرادة الإنسان؛ الأول منهما يسمى الملك أو هاتف الخير؛ أو داعي التقوى والثاني يسمى العدو؛ أو هاتف الشر أو وسواس الشيطان هذان الهاتفان عاملان خارجيان وقرينان ملازمان للإنسان؛ يسهمان في تشكيل الخواطر خيرها وشرها بمنطقة حديث النفس في الإنسان، العلة في الأذن للشيطان بأن يوسوس بالعصيان للإنسان.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ص: ٧٩ – ٨٥].

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقد جعل الله كيد الشيطان الأكبر محصوراً في الوسواس للإنسان وليس له سلطان أو جبر على إرادته ﴿ قَالَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ ٤٣ [الحجر: ٣٩ – ٤٣].

وكل الله بالإنسان ملك قرين في مقابل الشيطان روى الإمام مسلم في حديث عبدالله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة**، قالوا: وإياك يا رسول الله؛ قال: **وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بحق**)[1].

وروى الترمذي أيضاً وحسنه من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن للشيطان لمة ببني آدم؛ وللملك لمة؛ فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق؛ وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق؛ فمن وجد ذلك فليعلم إنه من الله فليحمد لله؛ ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان الرجيم؛ ثم قرأ: ﴿ **ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ** ﴾ ٢٦٨ [2].

أما لمة ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك؛ فإن الملك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقب الليل والنهار فإن إلمام الملك من الله (يعني ما يحبه الله ويرضاه) فليحمد الله على ذلك. ومن وجد لمة الشيطان فليتعوذ بالله من الشيطان.

---

١ رواه مسلم، في كتاب صفة القيامة والجنّة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرين، ٢٨١٤.

٢ رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب سورة البقرة، ٥\٢١٩ (٢٩٨٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخواطر بمنزلة البذر

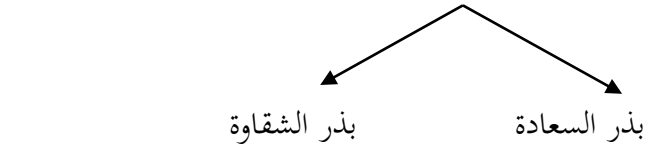

سبب اشتباه الخواطر

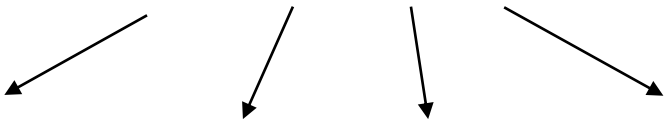

إذا وصلت إلى القلب تسبب له الأمراض: لذا ضرب الله لنا مثلاً: «ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعاً وَلاَ تَتَفَرَّجُوا وَدَاعِي يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُفْتَحَ شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ قَالَ وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ والصِّرَاطُ الإِسْلاَمُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالَى وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالَى وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[1].

المقصود بالقرينين الذين ورد ذكرهما في سورة ق: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ [ق: ٩١ – ٢٢].

كل قرين يتكلم يوم القيامة بما دار بينه وبين الإنسان.

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ ﴿٢٦﴾ [ق: ٢٣ – ٢٦].

فقال تعالى عن الملك الذي اقترن بأحد الكفار ورافقه طول الحياة؛ طالما حثه على الخير ودعاه.

معنى السائق والشهيد: أي ملك يسوقه إلى المحشر والشهيد يشهد عليه بأعماله.

أما موقف الشيطان الذي اقترن للإنسان للوسواس بالعصيان فيقوا متملصاً من أفعال الكافر العنيد ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴾ ﴿٢٧﴾ [ق: ٢٧].

---

١ رواه أحمد في المسند ٤\٨٢ (١٧٦٧١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينفي الشيطان عن نفسه المشاركة في الطغيان، وينسب الضلالة والعصيان إلى الإنسان[1].

وبعد أن تعرفنا إلى مقومات الاختيار في الإنسان، وعلمنا إن حديث النفس كائنة في القلب، وأن الله عزّ وجلّ جعل للخواطر في القلب ركنين نفسيين، ونازعين ذاتيين، متقابلين ومتضادين، أحدهما يدعو للتقوى ولإيمان، والآخر يدعو إلى الفجور والعصيان.

وجعل الله عزّ وجلّ ركنين خارجيين، من خلال وجود هاتفين قرينيين متقابلين ومتضادين، ليس لأحدهما جبر أو غلبة على إرادة الإنسان، الأول يسمى الملك أو هاتف الخير وداعي الإيمان، والثاني يسمى هاتف الشر أو الشيطان، والهاتفان والنازعان يسهمان في تشكيل الخواطر خيرها وشرها.

كما أنه من كمال عدل الله عزّ وجلّ أنه أوجد في منطقة حديث النفس العقل يمثل صمام الأمان، يضبط الأفكار والخواطر في قلب الإنسان، ويميز به بين ما ينفع وما يضر، ويقيس من خلاله معاني الخير والشر[2].

ومن أدلة الاختيار ومقوماته في الإنسان منطقة الكسب التي تحوي مشيئاته واختياراته وجميع أعمال القلوب، وهي مصدر أصيل للنيات والإرادات والباعث السببي للحركات والسكنات في الإنسان وعليها تقع المساءلة عن إرادته للكفر أو الإيمان، وكل ما يكتسبه الإنسان في الدنيا والآخرة.

والأدلة على كسب الإنسان كثيرة في القرآن والسنّة:

١. قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

٢. وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [فصلت: ١٧].

٣. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠].

والدلائل تشهد بأن المسؤولية تقع على عاتق الإنسان في الدنيا والآخرة بسبب كسبه وسعيه، واختياره وفعله، وأنه لا يصح من جهة النقل والعقل الاحتجاج بالجبر على نفي الاختيار والكسب، بل إن الفطرة شاهدة على أن الإنسان حريص كل الحرص على دفع الأذى والمضرة التي تقع من كسب الآخرين عليه وسعيهم، وحريص أيضاً على إلقاء المسؤولية على عواتقهم بأدنى فعل.

وأما الأدلة على أن الإنسان يحاسب على كسبه وسعيه في الآخرة:

١. قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٥].

---

١ الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٧١ – ١٧٥.

٢ الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص٢٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

٣. وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

قال ابن القيم: (الأحكام في الدنيا والآخرة مرتبة على ما كسبه القلب، وعقد عليه، وأراده من معنى كلامه)[1].

وهذا الكسب الذي يوجد في القلب بما يحويه من مشيئات وإرادات وقصود واختيارات من أعجب الدلالات على كمال حكمة الله عزّ وجلّ وقدرته وقيام حجته على عباده.

الأدلة من القرآن على أن منطقة الكسب محلها القلب:

والقلب كما يتضمن حديث النفس، ويحتوي على غريزة العقل كوسيلة للمعرفة والتميز، فإنه يحتوي على منطقة الكسب التي تمثل منبع الاختيارات والإرادات والقصود والنيات وجميع أعمال القلوب التي يحاسب عليها الإنسان.

والدليل على أن منطقة الكسب في القلب قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأن العبد غير مؤاخذ بأعمال القلب ما لم يتحدث أو يعمل به للحديث السابق ذكره: «**إنّ الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها، ما لم يتكلموا أو يعملوا به**»[2].

وبعد اتخاذ قرار القلب. الملائكة (رقيب عتيد) تكتب تلك المواقف والأعمال، محددة بالزمان، والمكان، بعد اتخاذ النية، والتي هي أساس العمل فالحساب عند الله على النية.

وأعمال القول في منطقة الكسب تخضع للأحكام التكليفية، على اختلاف أنواعها، فأحكام التكليف الخمسة، الواجب، المستحب، المباح، المكروه، المحرم، هذه الأحكام تتعلق بأعمال القلوب جميعاً.

أما الاستدلال على أن الملائكة اسمهم رقيب عتيد ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

---

١ ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، الجزء الرابع، ص٣٢٢.

٢ رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر (١٢٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بألا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم**»[1].

صاحب اليمين يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات:

في معجم الطبراني الكبير بإسناد حسن عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة**»[2].

فأين هي حجتنا يوم القيامة، بعد هذا العرض الدقيق لما أنعم الله علينا من نِعمَ الاختيار والكسب، فيا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

---

١ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث رقم ٦٤٧٨.

٢ صحيح الجامع، ٢/٢١٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين مُحَمَّد عليه أفضل الصلاة والتسليم:

المحاضرة الخامسة: قصى نوح عليه السلام:

(نوح عليه الصلاة والسلام نبي ورسول، ومن أولي العزم من الرسل أرسله الله إلى قومه.

وقد ورد اسم «نوح» عليه السلام في القرآن، ثلاثاً وأربعين مرة وذكر «نوح» في القرآن على حالتين:

الحالة الأولى: ذكر اسمه مجرداً، أو مضافاً إلى قومه، ضمن الحديث عن قصته، وذلك في إحدى وعشرين مرة.

الحالة الثانية: ذكر اسمه مجرداً، أو مضافاً إلى قومه، ولكن ليس ضمن الحديث عن قصته، وإنما في إشارة سريعة إليه، أو إلى رسالته، أو إلى شريعته، أو إلى كفر قومه وتكذيبهم، وذلك بما يتفق مع موضوع السورة، أو الوحدة التي وردت فيها الإشارة)[1].

أما السور التي ذكر اسم نوح مجرداً أو مضافاً إلى قومه، ولكن ليس ضمن قصته فقط وحسب أسباب النزول:

١ – النجم.

٢ – (ق).

٣ – (ص).

٤ – الأعراف.

٥ – الفرقان.

٦ – مريم.

٧ – الإسراء.

٨ – هود.

٩ – الأنعام.

١٠ – الشورى.

١١ – الذاريات.

١٢ – نوح.

١٣ – إبراهيم.

والسور التي وردت فيها مشاهد ولقطات من قصة نوح عليه السلام حسب أسباب النزول:

١. القمر من الآية ٩ إلى ١٧ ﴿۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ

---

١ صلاح الخالدي، القصص القرآني، الجزء الأول، ص١٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٣﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ ﴾ ورقمها حسب أسباب النزول (٣٧).

٢. الأعراف من الآية ٥٩ إلى ٦٤ ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ ورقمها حسب أسباب النزول (٣٩).

٣. الشعراء من الآية ١٠٥ إلى ١٢٢ ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾ ورقمها حسب أسباب النزول (٤٧).

٤. يونس من الآية ٧١ إلى ٧٣ ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ ورقمها حسب أسباب النزول (٥١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥. هود من الآية ٧٥ إلى ٨٢ ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾ ورقمها حسب أسباب النزول (٥٢).

٦. الصافات من الآية ٧٥ إلى ٨٢ ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ ﴿٨٢﴾ ورقمها حسب أسباب النزول (٥٦).

٧. نوح السورة كاملة ورقمها حسب أسباب النزول (٧١).

٨. الأنبياء من الآية ٧٦ إلى ٧٧ ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٧٧﴾ ورقمها حسب أسباب النزول (٧٣).

٩. المؤمنون من الآية ٢٣ إلى ٣٠ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِى مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ إِنَّ ﴿٢٩﴾ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ ورقمها حسب أسباب النزول (٧٤).

١٠. العنكبوت من الآية ١٤ إلى ١٥ وَلَقَدۡ ﴿ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿١٥﴾ ورقمها حسب أسباب النزول (٨٥).

أما السور المدنية التي ذكر اسمه عليه السلام مجرداً أو مضافاً، ولكن ليس ضمن قصته هي السور التالية:

١. آل عمران.
٢. الأحزاب.
٣. النساء.
٤. الحديد.
٥. الحج.
٦. التحريم.
٧. التوبة.

ما عرضته كل سورة من قصته:

١ – سورة القمر من الآية ٩ إلى ١٧:

ذُكرت القِصة مجملة وغير مفصلة، حيث ذكرت فقط عداء قوم نوح عليه السلام له، واستنصار نوح عليه السلام ربّه لينصره على القوم الكافرين، وتعذيب قومه بالطوفان، ونجاته هو وأهله من الغرق وبقاء السفينة آية لهم.

٢ – سورة الأعراف:

تحدثت عن سبب بعث نوح عليه السلام إلى قومه، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والتحدث الملأ من قومه وما نالوا من إيذائهم لنوح عليه السلام.

٣ – سورة الشعراء وردت من الآية ١٠٥ إلى ١٢٢:

زادت عن سابقاتها بما طلبوه منه:

١ – طرد المؤمنين المستضعفين.

٢ – تهديدهم له برجمه.

والباقي مثل الآيات السابقة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤ – سورة يونس من الآية ٧١ إلى ٧٣:

تحدثت عن تحدي نوح عليه السلام لقومه وعدم خوفه منهم لأنه مؤمن بالله، واعتماده على الله وحده لا شريك له.

زاد هنا: عدم طلبه الأجر منهم.

٥ – سورة هود من الآية ٢٥ إلى ٤٩:

أما سورة هود فذكرت قصة نوح عليه السلام في أطول المشاهد، فكانت مفصلة لسورة القمر، وزيادة عن سابقاتها إثارة الشبهات ونقضه لهذه الشبهات، وهنا عرض كيف إنّ قلة من قومه سيؤمن به، واستهزائهم حين صنعه السفينة. وكيف حمل كل زوجين اثنين، وما جرى مع ابنه الكافر، وهلاكه غرقاً، وغرق الكفار، واستقرار السفينة على جبل الجودي....

أما سورة الصافات وهي من الآيات ٧٥ إلى ٨٢:

تتحدث عن أهمية استنجاد نوح عليه السلام بربه.

أما سورة نوح الكاملة:

فتحدثت عن أساليب الدعوة إلى الله التي دعا فيها نوح عليه السلام قومه، وكيف واجهه قومه بالكفر والعناد.

أما سورة الأنبياء وآياتها ٧٦ إلى ٧٧:

فقد عرضت لقطة سريعة لاستنجاد نوح بربه، واستجابة الله له.

وسورة المؤمنون من الآيات ٢٣ إلى ٣٠:

كان فيها الأمر الإلهي بعمل السفينة.

أما سورة العنكبوت الآيتين ١٤ إلى ١٥:

فقد وردت معلومة جديدة لم تذكر من قبل ألا وهي أنّ نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.

وسنتحدث بالتفصيل عن قصة نوح عليه السلام وسنبدأ منذ البداية:

أولاً: يجب أن نعلم أنّ أول نبي على وجه الأرض هو آدم عليه السلام وأنّ المدة بين نوح عليه السلام وبين آدم عليه السلام عشرة قرون.

وحين قلنا أن آدم عليه السلام حين نزوله إلى الأرض هو وحواء ومعهم إبليس.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ٢٥ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٤ – ٢٥].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿٣٧﴾ [البقرة: ٣٦ - ٣٩].

لذا فإنّ آدم عليه السلام كان نبياً لأنه بعثه الله عزّ وجلّ ليعلم أولاده منهج الله عزّ وجلّ، أو (ما يريده الله عزّ وجلّ من الإنسان في رحلة الامتحان)، وهكذا علّم آدم أبناؤه الإيمان والتوحيد. لكن كيف طرأ عليهم الشرك وما معنى الشرك والذي سيتوضح لنا من حديث لرواية مسلم: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ممّا علمني**... قراءة من صحيح مسلم».

فكيف انحرف الناس إلى الكفر:

«كان الناس بعد آدم عليه السلام مؤمنين موحدين لله ومرت أجيال منهم على الإيمان فقد روى ابن عباس في صحيح البخاري حديثاً موقوفاً عليه؛ في كيفية انحراف قوم نوح عليه السلام في كتاب التفسير، باب ﴿ **وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴿٢٣﴾ ﴾.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد:

أما «وَدٌّ» فكانت لكلب بدومة الجندل.

وأما «سُواعٌ» فكانت لهذيل.

وأما «يغوث» فكانت لمراد، ثمّ لبني غطيف بالجُرْف، عند سبأ.

وأما «يَعوقٌ» فكانت لهمذان.

وأما «نَسْرٌ» فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع.

وكانت هذه أسماء رجال صالحين، من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصِبوا إلى مجالسهم – التي كانوا يجلسون – أنصاباً، وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسخ العلم، عبدت»[1].

ومعنى موقوف، أي: أنّ الراوي هو ابن عباس ﷺ لقد انحرف قوم نوح، واستجابوا لدعوة الشياطين إلى الشرك بالله، وعبدوا أصناماً خمسة، هي: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسراً[2].

ونوح عليه السلام هو أول رسول إلى الأرض.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [هود: ٢٥]، أنه قال:

---

١ رواه البخاري، حديث رقم (٤٩٢٠).

٢ صلاح الخالدي، القصص القرآني، المجلد الأول، ص١٦٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«... **فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عَبداً شكوراً، أما ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا...**»[1].

إنّ آدم عليه السلام أول نبي، بعثه الله إلى أولاده. أما نوح فهو نبي، وهو أول رسول أرسله الله إلى قومه.

فآدم عليه السلام أول نبي على الأرض، فهو أول الأنبياء، روى أحمد والحاكم عن أبي أمامة ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أنبيٌّ كان آدم، قال: «**نعم معلمٌ مكلم وقد بعثه الله نبياً إلى بنيه حيث بلغهم دين الله، ودعاهم إلى عبادته، وحذرهم من الشيطان**»[2].

المدة بين آدم ونوح عليهما السلام:

فقد روى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين، مبشرين ومنذرين»[3].

وفي معجم الطبراني الكبير[4]، بإسناد حدثنا أحمد بن خليد الحلبي، حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام قال: سمعت أبا سلام قال: سمعت أبا أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله، أنبي كان آدم؟ قال: «**نعم**»، قال: كم كان بينه وبين نوح وإبراهيم؟ قال: «**عشرة قرون**». قال: كم كان بين نوح وإبراهيم؟ قال: «**عشرة قرون**». قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: «**ثلاث مئة وثلاثة عشر**».

كيف انحرف الناس إلى الكفر:

قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣].

روى الإمام مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إنّ ربّي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ممّا علّمني، يومي هذا: كلُّ مالٍ نحلته عَبْداً حَلالٌ، وإنّي خلقت عبادي**

---

١ رواه البخاري، حديث رقم ٣٣٤٠.

٢ رواه أحمد والحاكم.

٣ أخرجه الحاكم ٢/٥٤٦ – ٥٤٧. وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

٤ معجم الطبراني الكبير، [٨/١١٨ (٧٥٤٥)].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً...»[1].

(وهذا حديث صحيح صريح في أن الناس بدأوا على وجه الأرض حنفاء، مؤمنين موحدين، وهذا ما جرى للقرون والأجيال بعد آدم عليه السلام)[2].

(دلت الآيات وأحاديث رسول الله ﷺ أن البشر على وجه الأرض كانوا مؤمنين بالله، موحدين له، أمّة واحدة، وأن الشرك كان طارئاً بعد ذلك، حيث أتت الشياطين الناس، فحازتهم، واستحوذت عليهم، واجتالتهم وصرفتهم عن الدين الحق، وحللت لهم ما حرمَ الله عليهم، وحرمت عليهم ما أحلَّ الله لهم، وأمرتهم أن يكفروا بالله، وأن يشركوا معه الأصنام والأوثان. عند ذلك بعث الله نوحاً عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً)[3].

إذن نوح عليه السلام جاء ليدعوا إلى تطبيق دين الله عزّ وجلّ وأن يعبدوا الله وحده لا شريك له، فقبل أن نكمل قصة نوح عليه السلام علينا أن نتعرف على معنى الدين والعبادة وما مفهومها لدى كفار قريش وهل كانت تنطلق أيضاً زمان أهل مكة أم هي طارئة بعد بعثة رسول الله ﷺ.

أما معنى الدين[4]:

- تُستعمل كلمة الدين في كلام العرب بعدة معانٍ[5].
- القهر والسلطة والحكم والأمر والإكراه على الطاعة، واستخدام القوّة القاهرة فوقه، وجعلُه عبداً مُطيعاً فيقولون: [دان الناس]، أي: قهرهُم على الطاعة. وجاء في الحديث النبويّ ﷺ: «**الكَيِّسُ مَنْ دانَ نفسَه وعَمِلَ لِما بَعْدَ الموت**»، أي: قَهَرَ نَفْسَه وذَلَّلَها، ومِنْ ذلك يُقال [دَيَّانٌ] للغالِبِ القاهِرِ على قُطرٍ أَو أُمّةٍ أَو قبيلةٍ والحاكِمُ عَلَيْها.
- الطَّاعَةُ العَبدِيّةُ والخِدْمَةُ والتَّسَخُّرُ لأَحد، أي: الائتمارُ بأمرِ أَحد، وقَبولُ الذِلّةِ والْخُضوعِ تحتَ غَلَبَةِ أَحدٍ وَقَهرِه. بِهذا الْمَعنى، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلِمَةً تَقولونها تَدينُ لكم بِهَا العرب**»، أي: تُطيعكم وتَخْضَعُ لَكُمْ.
- الشرعُ والقانونُ والطريقةُ والمذهبُ والْمِلّةُ والعادَةُ والتقليد، أيْ: مَنْ كانَ على طريقةٍ وعاداتٍ اتَّبَعَها (قومٌ) ومِنْ ذلك، قولُ الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ ﴾[6]، يقول رَسُول اللهِ ﷺ:

---

١ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنّة، وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنّة وأهل النار، حديث رقم (٢٨٦٥).

٢ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ص١٦١.

٣ صلاح الخالدي، القصص القرآني، المجلد الأول، ص١٦٢.

٤ المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، دار العروبة للدعوة الإسلامية، لاهور باكستان، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٥م، طبعت في الشام أيضاً باللغة العربية، ص١١٤ – ١٢٨.

٥ لسان العرب، ١٧/٢٤ – ٣٠.

٦ سورة يوسف، الآية: ٧٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«إِنَّهُ كانَ عَلى دينِ قَومِهِ»، أي: كانَ يَتّبِعُ الْحُدودَ والقواعدَ الرائجةُ في قومِهِ، في شؤونِ النِّكاحِ والطلاقِ والميراث، وغيرِ ذلكِ مِنَ الشؤونِ الْمَدَنِيَّةِ والاجْتِماعيةِ.

- الجزاءُ والمكافأةُ والقضاءُ والحِساب. فمِنْ أمثالِ العرب [كما تَدينُ تُدان].

استعمالُ كلمةِ دينٍ في القرآنِ الكريمِ:

إنَّ كلمةَ (الدينِ) قائمٌ بُنْيانُها على معانِ أربعة:

أولاً: القَهرُ والغَلَبةُ مِنْ ذي سُلْطَةٍ عُليا.

ثانياً: الطاعةُ والتعبُّدُ والعَبَدِيَّةُ مِنْ قِبَلِ خاضعٍ لذي السُلطة.

ثالثاً: الحدودُ والقوانينُ والطريقةُ التي تُتَّبَع.

رابعاً: الْمُحاسبة والقضاءُ والْجَزاءُ والعِقاب.

كلمة (الدّين) في القرآنِ، تقومُ مَقامَ نِظامٍ بِأَكْمَلِهِ، يَتَرَكّبُ مِنْ أَجْزاءٍ أَربعةٍ هي:

١. الحاكِمِيّة والسُلْطَةُ العُليا.

٢. الإطاعةُ والإذعانُ لِتلكَ الحاكِمِيَّةِ والسُلْطة.

٣. النظامُ الفَكريُّ والعَمليّ، والْمُتَكوِّنُ تَحْتَ سُلطانِ تِلْكَ الحاكِمِيّة.

٤. المكافأةُ التي تُكافِئُها السُلْطَةُ العُليا عَلى اتِّباعِ ذلكَ النِّظام، والإخْلاصِ له، أو عَلى البَغْيِ عَلَيْهِ وَالعِصيانِ له.

الدينُ بالمعنى الأول والثاني:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ [١].

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [٢].

﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [٣].

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ [٤].

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ ﴿٥﴾ [١].

---

١ سورة غافر، الآيتان: ٦٤، ٦٥.

٢ سورة الزمر، الآيتان: ١١، ١٢.

٣ سورة النحل، الآية: ٥٢.

٤ سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في جميع هذه الآيات، وَرَدتْ كلمةُ (الدين) بمعنى السُلْطَةِ العُليا، ثُم الإذعانِ لتلكَ السُلْطَةِ، وقَبولِ إطاعَتِها وَعَبَدِيَّتِها، والمرادُ بإخلاصِ الدينِ لله، ألاّ يُسلِمَ الْمَرْءُ لأحَدٍ مِنْ دونِ اللهِ بالحاكِمِيَّةِ والْحُكْمِ والأمْرِ، ويُخْلِصُ إطاعَتَهُ وَعبوديَّته للهِ تَعالى، إخلاصاً لا يَتَعَبَّدُ بعدَهُ لِغَيْرِ اللهِ، ولا يُطيعُه إلا طاعةً لله.

الدينُ بالمعنى الثالث:

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾ [٢].

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ [٣].

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٢١﴾ [٤].

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ ﴿٦﴾ [٥].

فالمرادُ بالدينِ في جَميعِ هذه الآيات، هو **القانونُ والْحُدودُ والشَرعُ والطَّريقَةُ والنِّظامُ الفِكْريَّ والعَمَليُّ** الذي يَتَقَيَّدُ بِهِ الإنْسان.

فإن كانتِ السُلطةُ التي يَستَنِدُ الْمَرْءُ لاتِّباعِهِ قانوناً مِنَ القوانين، أو نِظاماً مِنَ النُّظُمِ **سُلْطَةَ الله**، فَالْمَرْءُ لا شَكَّ في دينِ الله عَزَّ وَجَلَّ. وأمّا إنْ كانتْ تِلْكَ السُلْطَةَ مَلِكٍ مِنَ الْمُلوك، فالمرءُ في دينِ المَلِك، وإنْ كانَتْ سُلْطَةَ المشايخِ والقُسوس، فهو في دينهم. وكذلك إنْ كانتْ تِلْكَ السُلْطَةُ سُلْطَةَ العائِلةِ أو العَشيرةِ أو جَماهيرِ الأُمة، فَالْمَرْءُ لا جَرَمَ في دينِ هَؤلاء، وموجَزُ القَوْلِ: إنَّ مَنْ يَتَّخِذُ المرءَ سَنَدَه أعلى الإسناد، وحُكْمَهُ مُنْتَهى الأحكامُ، ثُمَّ يَتَّبِعُ طَريقاً بِعَيْنِهِ. فَإِنَّهُ – لا شَكَّ – بِدينِهِ يَدين.

الدينُ بالمعنى الرابع:

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ ﴿٦﴾ [٦].

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾ [١].

---

١ سورة البينة، الآية: ٥.

٢ سورة يوسف، الآية: ٤٠.

٣ سورة الروم، الآية: ٣٠.

٤ سورة الشورى، الآية: ٢١.

٥ سورة الكافرون، الآية: ٦.

٦ سورة الذاريات، الآيتان: ٥، ٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدينُ: الْمُصْطَلَحُ الجامِعُ الشّامِل:

يَسْتَعمل القرآن كلمة الدين مصطلحاً جامعاً شاملاً، يُرِيدُ به نِظاماً لِلحياة، يُذْعِنُ فيه المرءُ لِسُلْطَةٍ عُليا، لكائنٍ ما، ثم يَقْبَلُ إطاعَتَهُ وَاتِّباعَهُ، وَيَتَقَيَّدُ في حَياتِهِ بِحُدودِهِ وَقَواعِدِه وقَوانينِه، وَيَرجو في طاعته العِزةَ والتَرقّي في الدَّرجات، وحُسنَ الجَزاء، ويَخْشى في عِصيانِه الذِلّة والخِزْي وسوءَ العَقاب.

قال تعالى: ﴿ قُتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [1].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [2]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [3]. وقَولِهِ تَعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [4].

المرادُ بِالدينِ في جَميعِ هَذه الآيات، **هُوَ نِظامُ الحياةِ الكامِلُ، الشّامِلُ لِنواحيها الاعتقادِيّة والفِكْرِيّة والخُلُقِيّة والعَمَلِية. وإنَّ نِظام الحياة الصحيح المرضي عند الله، تعالى هو النظام المبنيُّ على طاعةِ اللهِ وعُبودِيَّتِهِ.** وأَمّا ما سِواهُ مِنَ النُّظُمِ المبنِيَّة على إطاعَةِ السُلطةِ المفروضَةِ مِنْ دونِ الله، **فإنَّهُ مَردودٌ عِنْدَهُ**، وذلك لأَنَّ الإنسانَ ما هو إلا مَخْلوقٌ مِنْ مَخْلوقاتِهِ.

معنى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾:

ومعنى الدين في هذا الموضع: الطاعة والذِّلة، من قول الشاعر:

ويو الحزن إذ حشدت معد	**وكان الناس إلا نحن ديناً**

يعني بذلك: مطيعين على وجه الذُّل.

الدين: الطاعة، وكذلك الإسلام، وهو الانقياد بالتذلل والخضوع وترك الممانعة فإذا كان ذلك كذلك، فتفسير قوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ **إن الطاعة هي الطاعة عنده، الطاعة له، والإقرار بالألسن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية فإذا كانت طاعة المرء تابعة لإطاعة الله تعالى، ومتضمنة فيما قد**

---

١ سورة الانفطار، الآيتان: ١٧، ١٨.

٢ سورة التوبة، الآية: ٢٩.

٣ سورة آل عمران، الآية: ١٩.

٤ سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

٥ سورة الصف، الآية: ٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رسم لها من الحدود، فإنها عين إطاعة الله، فطاعة الولد لوالده وإطاعة المرأة لزوجها، وإطاعة الخادم لسيده وما شاكلها من الإطاعات، إن كانت بأمر من الله ومتضمنة فيما قد وضع لها من الحدود، وأما إذا كانت خارجة عن تلك الحدود أو مستقلة بذاتها، فإنها البغي والعصيان. فجميع القوانين في أي نظام يجب أن تكون مبنية على ما جاء من عند الله – عزّ وجلّ – وقامت بانفاذ حكم الله في أرضه، فإن إطاعتها واجبة، وإن لم تكن كذلك، بل كان أساسها القوانين الوضعية فإن إطاعتها جريمة.

هذا هو الإسلام، دين الإنسان المفطور عليه، وهو كما قلنا لا يختص بأمة دون أمة، كل من عرف الله يدين بدين الإسلام، وكل من عرف الله كان يتبع قانونه، كل من عرف الله سلك الصراط المستقيم، في أي زمن أو أمة أو قطر، سواء سمي دينه الإسلام أو بغيره من الألفاظ بلسان قومه.

أمّا مفهوم العبادة:

العبادة[1] في المفهوم اللغوي العام: سلوكٌ إراديٌ نفسيٌ[2] أو ظاهر[3] ذو دوافع باطنة يقصد به إرضاء معبودٍ مرى عابدة فيه أنه الربّ المتصف جميع صفات من الخلق والإمداد والتمكين والمعونة.

والعبادة في مفهوم الدين الرباني الحق: سلوك إراديٌ نفسي أو ظاهر ذو دوافع باطنةٍ يقصد به أداء ما يحب الربّ عزّ وجلّ – وما يرضيه منهم، وما يقربهم إليه.

خلق الله – عزّ وجلّ[4] – الناس بصفاتهم التي ميّزهم بها، ووضعهم في ظروف هذه الحياة الدنيا للامتحان، ثمّ لتحقيق لوازم هذا الامتحان والغاية منه.

إنّ الامتحان يستلزم بعد انتهاء ظروفه المحاسبة والمحاكمة وفصل القضاء، وهذه تكون يوم الدين. أما الغاية منه فهي الجزاء بالعدل في أحوال الإساءة والمعصية. والجزاء بالفضل في أحوال الطاعة وفعل الخير والبّر والإحسان.

وقد دلّ على أن الغاية من الخلق الامتحان لتحقيق لوازمه ثمّ لتحقيق الغاية منه، نصوص متعددة من القرآن المجيد:

قال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾[5].

ليبلوكم: أي ليمتحنكم ويختبركم.

---

١ الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، ص٢٠٢.

٢ نفسي: سلوك صادر عن إيمان وحرية بالتصرف (سلوك نابع عن النفس والذات).

٣ ظاهر: سلوك يراد منه رضى الحاضرين (مراع لخواطر الحاضرين).

٤ الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، ص٢٠٥.

٥ سورة الملك، الآيتان: ١، ٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والموت هو نهاية رحلة الامتحان في الحياة الأولى، والحياة الأخرى هي معدة في خطة الخلق للحساب والمحاكمة وفصل القضاء.

ومواد الامتحان أنواع كثيرة يصعب حصرها مما يحبّ الإنسان ومما يكره، وهي تتناول كل الحركات الإرادية في الإنسان، الجسدية، والفكرية والنفسية، والعاطفية والإيمانية.

المصائب والنّعم من أنواع مواد الامتحان – الإيمان الكفر من مواد الامتحان – ما يحب الإنسان وما يكره في الحياة من مواد الامتحان – الناسُ بعضهم بعض ممتحنون – الشهوات والغرائز والأهواء من مواد الامتحان المال والمطاعم والمشارب والمناكح والملابس من مواد الامتحان – وهكذا.

وكل ما جاء في النصوص القرآنية من فعلَيْ: بلى وابتلى، ومشتقاتهما فقد جاء مقترناً بما يدل على نوع أو أكثر من أنواع مواد الامتحان.

ونظيرهما معظم ما جاء فيها من فعل «فتن يفتن» ومشتقاته، إذا جاءت في معظم النصوص بمعنى الامتحان ومطلوب الرب من عباده في هذا الامتحان هو أن يعبدوه ولا يشركوا بعبادته شيئاً، وقد دلّ على هذا المطلوب قول الله – عزّ وجلّ – في سورة الذاريات: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ ﴾[1].

ولما كانت العبادة اعترافاً لذي الكمالات بكمالاته، ومقابلتها بالحمد والثناء، واعترافاً لذي الأنعام بإنعامه، وأداء لواجب الشكر عليها، كانت واجباً تدعو إليه مكارم الأخلاق في النفوس، وكان رفضها أو التقصير بها يمثل جحوداً للحق، أو إهمالاً لأداء الواجب، وذلك من سوء الخلق النفسي.

التحقيق اللغوي[2]:

العبودية والعبودية والعبدية، معناها اللغوي: الخضوع والتذلل، أي: استسلام المرء وانقياده لواحد ما انقياداً لا مقاومة معه ولا عدول عنه ولا عصيان له، حتى يستخدمه هو حسب ما يرضى وكيفما يشاء.

وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة.

وعلى ذلك تقول العرب: (بعير معبّد) للبعير السلس المنقاد و(طريق معبّد) للطريق الممهد بكثرة الوطء.

المعنى اللغوي: نشأت في مادة هذه الكلمة معاني العبودية والإطاعة والتأله والخدمة والقيد والمنع. فقد جاء في لسان العرب تحت مادة (ع ب د) ما نلخصه فيما يلي:

١. [العبد] المملوك خلاف الحر: [تعبد الرجل]: اتخذه عبداً، أي: مملوكاً أو عامله معاملة العبد، وكذلك [عبد الرجل وأعبده واعتبده].

---

١ سورة الذاريات، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

٢ المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، ص٩٣ – ٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢. [العبادة]: الطاعة مع الخضوع: ويقال: [عبد الطاغوت]، أي: أطاعه، و[إياك نعبد]، أي: نطيع الطاعة التي يخضع معها، و[اعبدوا ربكم]، أي: أطيعوا ربكم، و[قومهما لنا عابدون]، وقال ابن الأنباري: [فلان عابد] وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره.

٣. [عبده عبادة ومعبداً ومعبداً] تأله له، و[التعبد]: التنسك. هو [المعبد] المكرم المعظم: كأنه يعبد.

ويتضح من هذا الشرح اللغوي لمادة (ع ب د) أن مفهومها الأساسي أن يذعن المرء لإعلاء أحد وغلبته، ثم ينزل له عن حريته واستقلاله ويترك إزاءه كل المقاومة والعصيان وينقاد له انقياداً. وهذه هي حقيقة العبدية والعبودية، ومن ذلك أول ما يتمثل في ذهن العربي لمجرد سماعه كلمة (العبد) و(العبادة) هو تصور العبدية والعبودية. وبما أن وظيفة العبد الحقيقية هي إطاعة سيده وامتثال أوامره، فحتماً يتبعه لصور الإطاعة. ثم إذا كان العبد لم يقف به الأمر على أن يكون قد أسلم نفسه لسيده طاعة وتذللاً، بل كان مع ذلك يعتقد بعلانة ويعترف بعلو شأنه وكان قلبه مفعماً بعواطف الشكر والامتنان على نعمه وأياديه، فإنه يبالغ في تمجيده وتعظيمه ويتفنن في إبداء الشكر على آلائه وفي أداء شعائر العبدية له، وكل ذلك اسم التأله والتنسك، وهذا التصور لا ينضم إلى معاني العبدية إلا إذا كان العبد لا يخضع لسيده رأسه فحسب، بل يخضع معه قلبه أيضاً، وأما المفهومان الباقيان فإنهما تصوران فرعيان لا أصليان للعبدية.

استعمال كلمة العبادة في القرآن[١]:

وإذا رجعنا إلى القرآن بعد هذا التحقيق اللغوي فإنا نرى أن كلمة «العبادة» قد وردت فيه غالباً في المعاني الثلاثة الأولى، ففي بعض المواضع قد أريد بها المعنيان الأول والثاني معاً، وفي الأخرى المعنى الثاني وحده، وفي الثالثة المعنى الثالث فحسب، كما قد استعملت في مواضع أخرى بمعانيها الثلاثة في آن واحد، أمّا أمثلة ورودها في المعنيين الأول والثاني في القرآن فهي:

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ [٢].

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ﴿٢٢﴾ [٣].

والمراد بالعبادة في كلتا الآيتين هو العبودية والإطاعة.

العبادة بمعنى العبودية والإطاعة[٤]:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿١٧٢﴾ [٥].

---

١ المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، ص٩٦.

٢ سورة المؤمنون، الآيات: ٤٥ – ٤٧.

٣ سورة الشعراء، الآية: ٢٢.

٤ المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، ص٩٧.

٥ سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن المناسبة التي أنزلت بها هذه الآية هي أن العرب قبل الإسلام كانوا يتقيدون بأنواع من القيود في المآكل والمشارب، امتثالاً لأوامر أئمتهم الدينيين واتباعاً لأوهام آبائهم الأولين، فلما أسلموا قال الله تعالى: إن كنتم تعبدونني فعليكم أن تحطموا جميع تلك القيود وتأكلوا ما أحللناه لكم هنيئاً مريئاً. ومعناه أنكم إن لم تكونوا عباداً لأحباركم وأئمتكم، بل عباداً لله تعالى وحده، وإن كنتم قد هجرتم طاعتهم إلى طاعته، فقد وجب عليكم أن تتبعوا ما وضعه الله لكم من الحدود، لا ما وضعوه في الحلال والحرام والجائز والمحظور، ومن ذلك جاءت كلمة «العبادة» في هذا الموضع أيضاً في معاني العبودية والإطاعة.

﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [1] ﴿٦٠﴾.

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ [2].

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴾ [3] ﴿١٧﴾.

والمراد بعبادة الطاغوت في كل من الآيات الثلاث هو العبودية للطاغوت وإطاعته. ومعنى الطاغوت في اصطلاح القرآن – كما سبقت الإشارة إليه – كل دولة أو سلطة وكل إمامة أو قيادة تبغي على الله وتتمرّد، ثم تنفذ حكمها في أرضه وتحمل عباده على طاعتها بالإكراه أو بالإغراء أو بالتعليم الفاسد، فاستسلام المرء لتلك السلطة وتلك الإمامة والزعامة. وتعبّده لها ثم طاعته إياها – كل ذلك منه عبادة – ولا شك – للطاغوت!

العبادة بمعنى الطاعة[4]:

وخذ بعد ذلك الآيات التي قد وردت فيها كلمة «العبادة» بمعناها الثاني فحسب؛ قال الله تعالى:

﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ ﴾ [5].

والظاهر أنه لا يتألّه أحد للشيطان في هذه الدنيا، بل كل يلعنه ويطرده من نفسه، لذلك فإن الجريمة التي يصم بها الله تعالى بني آدم يوم القيامة ليست تألههم للشيطان في الحياة الدنيا، بل إطاعتهم لأمره واتباعهم لحكمه وتسرّعهم إلى السبل التي أراهم إياها.

﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ ﴿٢٣﴾ [1].

---

١ سورة المائدة، الآية: ٦٠.

٢ سورة النحل، الآية: ٣٦.

٣ سورة الزمر، الآية: ١٧.

٤ المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، ص٩٩.

٥ سورة يس، الآية: ٦٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ [2].

ويتضح بإتمام النظر في هذه المحاورة التي حكاها القرآن بين العابدين وبين ما كانوا يعبدون، إن المراد بالمعبودين في هذا المقام ليست الآلهة والأصنام التي كان يتأله لها القوم، بل المراد أولئك الأئمة والهداة الذين أضلوا الخلق متظاهرين بالنصح، وتمثلوا للناس في لبوس القديسين المطهّرين، فخدعوهم بسبحاتهم وجبّاتهم وجعلوهم تبعاً لهم، والذين أشاعوا فيهم الشر والفساد باسم النصح والإصلاح. فالتقليد الأعمى لأولئك الخداعين والاتباع الصادق لأحكامهم هو الذي قد عبر الله عنه بكلمة العبادة في هذه الآية.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ [3].

والمراد باتخاذ العلماء والأحبار أرباباً من دون الله ثم عبادتهم في هذه الآية هو الإيمان بكونهم مالكي الأمر والنهي، والإطاعة لأحكامهم بدون سند من عند الله أو الرسول، وقد صرح بهذا المعنى رسول الله ﷺ نفسه في الأحاديث الصحيحة، فلما قيل له: أننا لم نعبد علماءنا وأحبارنا، قال: «**ألم تحلوا ما أحلوه وتحرّموا ما حرّموه؟**».

العبادة بمعنى التألّه[4]:

ولننظر بعد ذلك في الآيات التي قد وردت فيها كلمة «العبادة» بمعناها الثالث، وليكن منك على ذكر في هذا المقام أن العبادة بمعنى التألّه تشتمل على أمرين اثنين حسبما يدل عليه القرآن:

أولهما: أن يؤدي المرء لأحد من الشعائر كالسجود والركوع والقيام والطواف وتقبيل عتبة الباب والنذر والنسك، ما يؤديه عادة بقصد التأله والتنسك، ولا عبرة بأن يكون المرء يعتقده إلهاً أعلى مستقلاً بذاته، أو يأتي بكل ذلك معتقداً إيّاه وسيلة للشفاعة والزلفى إليه أو مؤمناً بكونه شريكاً للإله الأعلى وتابعاً له في تدبير أمر هذا العالم.

والثاني: أن يظن المرء أحداً مسيطراً على نظام الأسباب في هذا العالم ثم يدعوه في حاجته ويستغيث به في ضره وآفته، ويعوذ به عند نزول الأهوال ونقص الأنفس والأموال.

فهذان الوجهان من عمل المرء كلاهما داخل في معاني التأله، والشاهد بذلك ما يأتي من آيات القرآن:

﴿ ۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ [1].

---

١ سورة الصافات، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

٢ سورة الصافات، الآيات: ٢٧ – ٣٠.

٣ سورة التوبة، الآية: ٣١.

٤ المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، ص١٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ ﴿٤٩﴾ [1].

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٦﴾ [2].

ففي كل من هذه الآيات الثلاث قد صرح القرآن نفسه بإن المراد بالعبادة فيها هو الدعاء والاستغاثة.

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ [3].

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ ﴿٦﴾ [4].

فيتبين منه أن المراد بعبادة الجن هو العياذ بهم واللجوء إليهم في الأهوال ونقص الأنفس والأموال، كما أن المراد بالإيمان بهم هو الاعتقاد بقدرتهم على الإعاذة والمحافظة.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ ﴿١٨﴾ [5].

ويتجلى من أسلوب هذه الآية أن المقصود بالمعبودين فيها هم الأولياء والصلحاء، والمراد بعبادتهم هو الاعتقاد بكونهم أجل وأرفع من خصائص العبدية والظن بكونهم متصفين بصفات الألوهية وقادرين على الإعانة الغيبية وكشف الضر، والإغاثة، ثم القيام بين يديهم بشعائر التكريم والتعظيم مما يكاد يكون تألهاً وقنوتاً:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ [6].

والمقصود بعبادة الملائكة في هذه الآية هو التأله والخضوع لهياكلهم وتماثيلهم الخيالية، كما كان يفعله القوم في الجاهلية، وكان غرضهم من وراء ذلك أن يرضوهم، فيستعطفوهم ويستعينوا بهم في شؤون حياتهم الدنيا.

---

١ سورة غافر، الآية: ٦٦.

٢ سورة مريم، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

٣ سورة الأحقاف، الآيتان: ٥، ٦.

٤ سورة سبأ، الآية: ٤١.

٥ سورة الجن، الآية: ٦.

٦ سورة الفرقان، الآيتان: ١٧، ١٨.

٧ سورة سبأ، الآيتان: ٤٠، ٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ [1].

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [2].

والمراد بالعبادة في هذه الآية أيضاً هو التأله، وقد فصل فيها أيضاً الغرض الذي كانوا لأجله يعبدونهم.

العبادة بمعنى العبدية والإطاعة والتأله[3]:

ويتضح كل الوضوح من جميع ما تقدم من الأمثلة أن كلمة «العبادة» في القرآن قد استعملت في بعض المواضع بمعنيي العبودية والإطاعة وفي الأخرى بمعنى الإطاعة فحسب، فالثالثة بمعنى التأله وحده. والآن قبل أن نسوق لك الأمثلة التي قد جاءت فيها كلمة «العبادة» شاملة لجميع تلك المعاني الثلاثة، لابد أن تكون على ذكر من بعض الأمور الأولية.

إن الأمثلة التي قد سردناها آنفاً، تتضمن جميعاً ذكر عبادة غير الله، أما الآيات التي قد وردت فيها كلمة «العبادة» بمعنى العبودية والإطاعة، فإن المراد بالمعبود فيها إما الشيطان، وإما الأناس الباغون الذين جعلوا أنفسهم طواغيت، فحملوا عباد الله على عبادتهم وإطاعتهم بدلاً من عبادة الله وإطاعته، أو هُمْ الأئمة والزعماء الذين قادوا الناس إلى ما اخترعوه من سبل الحياة وطرق المعاش جاعلين كتاب الله وراء ظهرهم. وأما الآيات التي قد وردت **فيها «العبادة» بمعنى التأله**، فإن المعبود فيها **عبارة إما عن الأولياء والأنبياء والصلحاء الذين اتخذهم القوم آلهة لهم على رغم أنف هدايتهم وتعليمهم، وإما عن الملائكة والجن الذين اتخذهم القوم لسوء فهمهم شركاء في الربوبية المهيمنة على قانون الطبيعة. أو هو عبارة عن تماثيل القوى الخيالية وهياكلها، التي أصبحت وجهة عبادتهم وقبلة صلواتهم بمجرد إغراء من الشيطان**، والقرآن الكريم يعد جميع أولئك المعبودين باطلاً ويجعل عبادتهم خطأً عظيماً سواء أتعبدهم الناس أو أطاعوهم أن تألهوا لهم، ويقول: إن جميع من طفقتم تعبدونهم عباد الله وعبيده، فلا يستحقون أن يعبدوا ولا أنتم مكتسبون من عبادتهم غير الخيبة والمذلة والخزيان مالكهم في الحقيقة ومالك جميع ما في السماوات والأرض هو الله الواحد، وبيده كل الأمر وجميع الصلاحيات، ولأجل ذلك لا يجدر بالعبادة إلا هو وحده.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ

---

١ سورة يونس، الآية: ١٨.

٢ سورة الزمر، الآية: ٣.

٣ المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن، ص١٠٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ ﴿١٩٧﴾ [1].

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2].

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ [3].

﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ ﴿١٥٨﴾ [4].

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ ﴿١٧٢﴾ [5].

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ ﴿٦﴾ [6].

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٤﴾ [7].

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ [8].

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٥٦﴾ [9].

﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ ﴿٩٥﴾ [1].

---

١ سورة الأعراف، الآيات: ١٩٤ – ١٩٧.

٢ سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦ – ٢٨.

٣ سورة الزخرف، الآية: ١٩.

٤ سورة الصافات، الآية: ١٥٨.

٥ سورة النساء، الآية: ١٧٢.

٦ سورة الرحمن، الآية: ٥، ٦.

٧ سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

٨ سورة الروم، الآية: ٢٦.

٩ سورة هود، الآية: ٥٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

كذلك بعد أن يقيم القرآن البرهان على كون جميع من عبدهم الناس وجه من الوجوه عبيداً لله وعاجزين أمامه، **يدعو جميع الأنس والجن إلى أن يعبدوا الله تعالى وحده بكل معنى من معاني «العبادة» المختلفة، فلا تكن العبدية إلا له، ولا يطع إلا هو، ولا يتأله المرء إلا له، ولا تكن حبة خردل من أي تلك الأنواع للعبادة لوجه غير الله.**

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾[4].

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[5].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[6].

قد أمر الله تعالى في هذه الآيات أن تختص له العبادة التي هي عبارة عن العبدية والإطاعة والإذعان، وقرينة ذلك واضحة في الآيات، فإن الله تعالى يأمر فيها أن اجتنبوا إطاعة الطاغوت والشيطان والأحبار والرهبان والآباء والأجداد واتركوا عبديتهم جميعاً، وادخلوا في إطاعة الله الواحد الأحد وعبديته.

﴿ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[7].

---

١ سورة مريم، الآيات: ٩٣ — ٩٥.

٢ سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

٣ سورة النحل، الآية: ٣٦.

٤ سورة الزمر، الآية: ١٧.

٥ سورة يس، الآيتان: ٦٠، ٦١.

٦ سورة التوبة، الآية: ٣١.

٧ سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

٨ سورة غافر، الآية: ٦٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ [1].

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ ﴿١٤﴾ [2].

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ﴿٧٦﴾ [3].

وقد أمر الله تعالى في هذه الآيات أن تختص له العبادة بمعنى التأله، وقرينة ذلك أيضاً واضحة في الآية، وهو أن كلمة «العبادة» قد استعملت فيها مرادفة للدعاء، وقد جاء فيما سبق وما لحق من الآيات ذكر الآلهة الذين كانوا يشركونهم بالله تعالى في الربوبية المهيمنة على ما فوق الطبيعة.

فالآن ليس من الصعب في شيء على ذي عينين أن يتفطن إلى أنه حينما ذكرت في القرآن عبادة الله تعالى ولم تكن في الآيات السابقة أو اللاحقة مناسبة تحصر كلمة العبادة في معنى بعينه من معاني الكلمة المختلفة، فإن المراد بها في جميع هذه الأمكنة معانيها الثلاثة: العبودية والإطاعة والتأله. فانظر في الآيات التالية مثلاً:

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ ﴿١٤﴾ [4].

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ [5].

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٠٤﴾ [6].

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾ [7].

---

١ سوةر غافر، الآية: ٦٠.

٢ سورة فاطر، الآيتان: ١٣، ١٤.

٣ سورة المائدة، الآية: ٧٦.

٤ سورة طه، الآية: ١٤.

٥ سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.

٦ سورة يونس، الآية: ١٠٤.

٧ سورة يوسف، الآية: ٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ ﴿٦٥﴾ [1].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ ﴿١١٠﴾ [2].

فلا داعي لأن تخص كلمة «العبادة» في هذه الآيات وما شاكلها بمعنى التأله وحده أو بمعنى العبدية والإطاعة فحسب. بل الحق أن القرآن في مثل هذه الآيات يعرض دعوته بأكملها، ومن الظاهر أنه ليست دعوة القرآن إلا أن تكون العبدية والإطاعة والتأله، كل أولئك خالصاً لوجه الله تعالى.

ومن ثم إن حصر معاني كلمة «العبادة» في معنى بعينه، في الحقيقة، حصر لدعوة القرآن وتحديد لها في معاني ضيقة، ومن نتائجه المحتومة أن من آمن بدين الله وهو يتصور دعوة القرآن هذا التصور الضيق الحدود، فإنه لن يتبع تعاليمه إلا اتباعاً ناقصاً محدوداً.

لا وساطة في العبادة بين العبد وربّه[3]:

ممّا امتازت به العبادات في الإسلام أنّها صلةٌ مباشرة بين العبد وربّه، فليس فيها وساطة مخلوقٍ ما من مخلوقات الله، مهما كانت منزلته عند ربّه، فليس لرئيسٍ دينيّ وساطة، ولا لملِك، ولا لنبيّ ولا لرسول، وأجلهم الرسولُ ﷺ وهو حامل رسالةٍ عن ربّه يُبَلِّغُها للناس، فلا يكون في عبادة العباد لربّهم وسيطاً بينهم وبينه، غاية ما أُذِن له به أن يَسْتَغفِر لهم، وأن يَدْعُو لهم، وأعطاه الله الشفاعة يوم الدين.

حتّى إكرام الرسول وتعظيمه وتوقيره ومحبّتُه كلُّها تعامُلٌ مع الله وسبيلٌ للظفر برضوانه وثوابه العظيم، كما قال الله عزّ وجلّ في سورة [الفرقان: ٢٥، مصحف: ٤٢ نزول] لرسوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ ﴿٥٧﴾.

أي: إلاّ من شاء أن يتَّخِذَ إلى رَبّه سبيلاً يُحَقِّقُ به رضوانه وثوابه العظيم.

فإنّه يُقدِّم إلى رسوله شيئاً، كالصلاة عليه، ومحبّته وتوقيره وتعظيمه، وإكرامه في حياته، وإكرامِ آله.

والمناجاة في العبادة تكون مع الله مباشرة، وحظّ الرسول من صلواتنا أنْ نخاطبه بالصلاة والتسليم، باعتبار أنّه مبلّغ رسالة ربّه، وأن ندعو له جزاء ما قدّم لأُمته من خير، وما تحمّل في سبيل هداية الناس من متاعب وآلام.

---

١ سورة مريم، الآيتان: ٦٤، ٦٥.

٢ سورة الكهف، الآية: ١١٠.

٣ الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، دار القلم، دمشق، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، طبعة أولى، ص٢٨٣ – ٢٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه الصلة المباشرة بين العبد وربّه في عباداته له هي الأمر الطبيعيّ المنطقيّ، المنسجم مع القاعدة الإيمانية في الإسلام، إذْ إنّ القاعدة الإيمانية تتألف من عناصر لا تدخُل الوساطة في واحدةٍ منها، فمن هذه العناصر أن لا إله إلاّ الله، أي: لا معبود في الوجود بحقٍ إلاّ الله، ومنها أنّ العبادة لا تكون إلاّ لله عزّ وجلّ بلا شريك ولا وسيط، وأنّ الله سميع بصير عليم بعباده قريب منهم، وأنّه لا تخفى عليه منهم خافية، وأنّ عبادة غيره معه ولو على سبيل الوساطة شرك به، وأنّ الله جلّ جلاله أغْنَى الشركاء عن الشرك، وأنّه لا يغفر أن يُشْرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

فما الداعي إذن لاتخاذ الوسطاء، والعقيدة الإسلامية الحقّ قائمة من أساسها على حقيقة أن لا وساطة في الخلْق، بين الخالق والمخلوق.

فالله هو وحده الرّبّ الخالق، فلا وساطة في الربوبية، وهذا يلزم عنه أن لا تكون وساطةٌ في الإلهية، فلا مُسْتَحِق للعبادة غير الله.

والله عزّ وجلّ محيطٌ بكلِّ شيءٍ علماً، وهو على ما يشاء قدير، فهو غنيٌّ عن الوسطاء.

وأنّه سبحانه لا يَبْعد عن عاصٍ مُسْرفٍ على نفسه إذا تاب إلى ربّه وأناب، فلا حاجة للوسطاء.

لكلّ هذا لا نجد في العبادات في الإسلام أثراً لتدخُّل الوسطاء، لا من قريب ولا من بعيد، وفي هذا تحرير كاملٌ من كلّ عبوديّة إلاّ العبودية لله عزّ وجلّ.

فالعابد لله حقاً يحرّر وعمله من قصد غير الله، ومن توجيههما لغير الله.

إنّ النيّة في العبادة الصحيحة المقبولة هي ابتغاء مرضاة الله، ومتى كانت النيّة لغير الله لم تكن العبادة عبادةٌ له، ومتى دخل فيها عُنْصُرٌ فإذا كان على وجه العبادة والتقرب لهذا الشريك فسدَت العبادة، لأنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل الشركة في عبادته، وإذا كان على غير وجه العبادة، كان دخل فيها ملاحظة غرض من أغراض الدنيا ومصلحة من مصالحها حَبِطَ من العمل بمقدار العنصر المشارك في النية، ويكون العمل عندئذ مشوباً بالرّياء، وهو من قبيل المتاجرة بالدين.

ولا نجد في التلاوات والأذكار وسائر الأقوال والأعمال الثابتة في النصوص الإسلامية أثراً للوسطاء بين العباد وبارئهم في كل العبادات الإسلامية.

- فالتكبير والتعظيم والثناء والتلبية كُلُّ ذلك لله – عزّ وجلّ – وحده.
- والاستعانة والاستعاذة تكون بالله وحده.
- والدعاء يُوجه له وحده لا شريك له، فلا يتوجه المؤمنون في دعائهم لأية قوة أو ذاتٍ غيبية إلاّ لله – عزّ وجلّ – وحده، فلا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يلتجئون إلاّ إليه.
- والركوع والسجود والطواف وذبح القرابين والأضاحي والهدي، ونحو ذلك، كلُّ أولئك لله وحده، لا شيء من ذلك لغير الله، وإلا دخل الشرك في العبادة، أو دخل الرياء الذي هو من ضلال الشرك.

قال الله – عزّ وجلّ – في سورة [فصلت: ٤١، مصحف: ٦١ نزول]: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأبان الله – عزّ وجلّ – كذب ادعاء المشركين إذْ عَلَّلوا عبادتهم لشركائهم بأنّ هؤلاء الشركاء يقرّبُونهم إلى الله زُلفى، فقال تبارك وتعالى في سورة [الزمر: ٣٩، مصحف: ٥٩ نزول]: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾

لا تكون العبادة المحضة فيما لم يأذن به الله – عزّ وجلّ[1] –:

لا بدّ من التّنْبيه على أنّ العبادات المحضة التي تؤدّى بالأعمال والأشكال الجسدية والأقوال الخاصة لا تكون إلاّ فيما شرعه الله لعباده، أو أذن لهم به، وذلك لئلا يختلفوا، ولئلا يخترعوا من عند أنفسهم أشكالاً من العبادات منافيةً للحكمة وللواقعية الإنسانية، أو مصادمة للحق والخير والفضيلة، أو مدخولة بمعاني الشرك بالله، أو فيها إعناتٌ للأنفس ومشقاتٌ زائداتٌ على الأجسام، أو أضرارٌ ومفاسدُ وانتحارات، أو فيها أهواء وشهواتٌ وإباحياتٌ، على اعتبارها ألواناً من العبادات، إلى غير ذلك ممّا تتشعّبُ له آراء الناس وأغراضهم وأهواؤهم وشهواتهم ومصالحهم، ومصالح الكهنة والسّدنَةِ وتُجار بيوت العبادة، والمشرفين على طقوسها، وإدارة تطبيقاتها، وإدارَةِ مبانيها، وإدارة الأموال التي تُجبى من أجلها.

وقد حدّد لنا الإسلام الأشكال والصور العملية والقولية التي نعبد الله بها، وأطلق لنا في الأذكار والأدعية العامة، بشرط أن لا تحل محل عبادة منصوص عليها، وأن لا تصادم أصلاً من أصول الدين، أو من أصول العبادات في الإسلام، وأن لا تكون بألفاظ غامضة مجهولة المعاني لم ترد في النصوص الدينية الثابتة، على أن أفضل الأذكار والأدعية ما جاء منها في القرآن المجيد، أو في السُّنة المطهرّة.

إن الابتداع في الدين والاختراع في العبادات منزلقٌ خطيرٌ جداً، يستدرج إليه بصدق إلى مواقع الشرك، أو دين الله وتغييره، ومن هذا المنزلق الخطير استَدْرج الشيطانُ المشركين إلى الشرك بالله، والمحرّفين لدين الله إلى تحريفاتهم، والمخرّفين إلى تخريفاتهم، والمغالين إلى غلوّهم.

ولما كان تشريعُ العبادات هو لله – عزّ وجلّ – وحده، وليس لغيره منه شيء، فقد شرع لنا من الدين ما وصى به الأنبياء السابقين، وما أوحاه إلى خاتم رسله مُحَمَّد ﷺ.

وجعل الله – عزّ وجلّ – لكلّ أُمَةٍ ضمن عباداتهم لربّهم منسكاً هم ناسكوه، وأبان لنا مناسِكَنا في الرسالة الخاتمة.

قال الله – عزّ وجلّ – في سورة [الحج: ٢٢، مصحف: ١٠٣ نزول] خطاباً لرسوله مُحَمَّد ﷺ.

---

١ الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة، دار القلم، دمشق، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، طبعة أولى، ص٢٨٨ – ٢٩١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[1].

نوح عليه السلام يدعو إلى عبادة الله:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٥٩﴾.

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ ﴿٢٠﴾.

الأساليب التي اتبعها في الدعوة إلى الله:

١. ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾.

٢. ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٣. ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

---

١ سورة الحج، الآيات: ٦٧، ٦٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤. ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ ۝٤ تَعۡلَمُونَ ﴾.

٥. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ ۝٩.

دعوته ألف سنة إلا ٥٠ عاماً في سورة العنكبوت، الآية: ١٤: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝١٤ ﴾.

نوح عليه السلام يواجه الملأ من قومه:

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ ۝٦٠.

﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ ۝٢٧.

أما شبهات الملأ في سورة الأعراف:

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ ۝٦٣.

١. أنه في ضلال مبين. وأنه تخلى عن دين آبائه وأجداده.

٢. أجابهم أنه ليس في ضلال وإنه رجل منهم جعله الله رسولاً منهم، وهذا بمشيئة الله عزّ وجلّ.

أما الشبهات الملأ في سورة هود:

﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ۝٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾ ۝٢٩.

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ۝٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١. إنه ليس رسول من عند الله لأنه بشر.

٢. اتبعه أراذل الناس وضعفائهم.

٣. ردّ نوح عليه السلام بقوله: إنه رسولٌ من عند الله وهو على يقين كامل، وبينة قاطعة بذلك.

أما في سورتي المؤمنون والشعراء:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ ﴿٢٦﴾.

﴿ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾.

عناد قوم نوح عليه السلام وإصرارهم على تكذيبه:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ ﴿٩﴾.

حصيلة دعوته:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ﴿٤٠﴾.

لم يؤمن بنوح عليه السلام إلا العدد القليل من قومه نوح يصنع السفينة:

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

دعاء نوح عليه السلام:

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مبهمات تتعلق بسفينة نوح عليه السلام:

وكل ما يتعلق بالسفينة مبهم في الكتاب والسنة، لم تبينه ولم تفصله الآيات والأحاديث الصحيحة، ما نوع الخشب الذي صنع منه السفينة؟ وأين قطع ذلك الخشب؟ وأين كان يقيم وهو يصنع السفينة؟ وكيف قطع ألواح الخشب وركّب بمنها السفينة؟ وما مساحة السفينة؟ وكم كان طولها وعرضها وارتفاعُها؟ وماذا كان شكلها؟

كل هذه الأسئلة وغيرها، عليها إجابات في الأساطير واليهوديات، لكن لا جواب عليها عندنا، ولا يضرنا عدم العلم بها، فلا تضيف لنا علماً ولا تقدم لنا عبرة أو عظة[1].

فقط ما قاله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القمر: ١٣].

والدسر هي المسامير، أي: إنها سفينة ذات ألواح خشبية، وذات مسامير تثبت تلك الألواح بعضها ببعض.

فوران التنور والطوفان:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾

كان نوح عليه السلام ينتظر علامة بدء الطوفان، كما أمره الله عزّ وجلّ، فقد صنع السفينة وصار ينتظر العلامة، وْتباعه المؤمنون جاهزون منتظرون، والكفار غافلون لاهون ساخرون.

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القمر: ١٠ – ١٣].

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٦ – ٢٨].

وكانت علامة بدء الطوفان فوران الماء من التنور، والتنور هو: الفرن الذي يخبز فيه، وسمّي «تنور» لأنّ النار تكون موقدة مشتعلةً فيه.

---

١ صلاح الخالدي، القصص القرآني، ص١٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حمولة السفينة من المؤمنين فقط:

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾.

ما حدث بين نوح عليه السلام وابنه ومعاتبة الله عزّ وجلّ لنوح عليه السلام:

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ ﴿٤٣﴾ [هود: ٢٤ – ٤٤].

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ [هود: ٥ – ٤٧].

الاستواء على الجودي:

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾ [هود: ٤٤].

واستقرت السفينة على جبل الجودي.

وجبل الجودي: ما زال اسمه حتى الآن جبل «الجودي»، وهو مطل على جزيرة، وهو قريب من مدينة الموصل العراقية المعروفة.

ولما استقرت سفينة نوح على جبل الجودي، نزل منها نوح عليه السلام، والمؤمنون الذين معه، واستؤنفت الحياة من جديد على وجه الأرض قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [هود: ٤٨].

وجعل الله عزّ وجلّ السفينة آية وعبرة للعالمين جميعاً حين قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرحلة الثانية: ما بين نبوته والطوفان. وهي حوالي ألف سنة: ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾.

المرحلة الثالثة: ما بين نزولِه من السفينة إلى وفاته، وهذه لم يخبرْنا اللهُ عنها، فلا نخوضُ فيها.

أما والداه، فقد آمَنا به بعد نبوته، ودَخَلا في دينه، وتخلَّيا عن الكفرِ بالله بدليل قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح: ٢٨].

لقد سأل نوحٌ ربَّه أنْ يغفر له أولاً، ولأمه وأبيه ثانياً، ولمن دخلَ بيتَه مؤمناً ثالثاً، ثم لجميع المؤمنين والمؤمنات على اختلافِ الزمان والمكان، أينما كانوا، وحيثُما وُجدوا.

فلو لم يكن أبواه مؤمنيْن لما استغفرَ لهما، فهو لم يستغفرُ لامرأتِه وابنه لأنهما كَفَرا به.

وصية نوح لابنه قبيل موته:

وعندما حانت وفاةُ نوح عليه السلام، بعدَ هذا العمر الطويل الذي عاشه، أحضرَ ابْنَه المؤمن وأوصاهُ وصيةً إيمانيةً جامعة، أخبرَنا عنها رسولُ الله ﷺ.

روى أحمد والبيهقي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

(كنا عندَ رسولِ الله ﷺ، فجاء رجلٌ من أهل البادية، عليه جُبَّةٌ سِيجان، مزرورةٌ بالديباج[1]، فقال رسولُ الله ﷺ: **«ألا إنَّ صاحبكم هذا قد وضعَ كلَّ فارسٍ ابنِ فارس، ورفعَ كلَّ راعٍ ابنِ راع»!**

فأخذَ رسولُ الله بمجامعِ جُبَّته، وقال له: أَرى عليك لباسَ مَنْ لا يعقل!!

ثم قال عليه الصلاة والسلام: **«إن نبيَّ اللهِ نوحاً عليه السلام لما حضرَتْه الوفاة، قال لابنه:**

إني قاصٌّ عليك الوصية: آمُرُك باثنتيْن، وأَنْهاك عن اثنتيْن: آمُرُك بلا إله إلا الله. فإنَّ السماوات السبع والأَرضين السبع، لو وُضعت في كفة، ووُضعتْ لا إله إلا الله في كفة، رجحتْ بهنَّ لا إله إلا الله. ولو أنَّ السماواتِ السبع والأرضين السبع كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَة، ضَمَّتْهُنَّ لا إله إلا الله.

وآمُرُك بالتسبيح وبالتكبير، فإنَّ بها صلاةَ كل شيء، وبها يُرزَقُ الخلق.

وأنهاك عن: الشرك، والكبر».

قال: يا رسول الله، هذا الشركُ قد عَرَفناه، فما الكبر؟ هو أنْ يكونَ لأحدنا نَعلان حسنتان لهما شِراكان حسنان؟

قال عليه الصلاة والسلام: «**لا**».

قال: هو أنْ يكونَ لأحدِنا حلةٌ يلبسها؟

قال عليه الصلاة والسلام: «**لا**».

قال: هو أن يكونَ لأحدنا دابةٌ يركبها؟

---

١ السيجان :جمعُ ساج، وهو الثوبُ الطيلَسانُ الأخضر. وكان الأعرابيّ قد زررَ ثوبَه الأخضر بأزرار من الديباج، وكان لباسُه يشير إلى تكبره، ولذلك كره الرسولُ عليه السلام لبسه، وذكَّره بوصيةِ نوح عليه السلام لابنه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال عليه الصلاة والسلام: «**لا**».

قال: هو أن يكونَ لأحدنا أصحابٌ يجلسون إليه؟

قال عليه الصلاة والسلام: «**لا**».

قال: يا رسولَ الله فما الكِبْر؟

قال عليه الصلاة والسلام: «**هو سَفَهُ الحق وغَمْطُ الناس!**»[1].

إن المتكبرَ هو الذي يسفهُ الحقَّ ويغمطُ الناس.

ومعنى سَفَه الحق: الاستخفافُ به، ورفضُه، وعدمُ قبوله.

ومعنى غمط الناس: عيبُهم وازدراؤُهم وانتقاصُهم واحتقارُهم.

ويهمنا هنا أن نتعرفَ على وصيةِ نوح عليه السلام لابنه عندما قربتْ وفاتُه. إنه يوصيه بالإيمانِ والعبادة، وينهاه عن الشرك والمعصية.

لقد أَمره بالتوحيد، والإكثارِ من قول: لا إله إلا الله، لأنها أفضلُ ما قاله أيُّ مخلوق. كما أمره بالإكثارِ من التسبيحِ والتكبير والعبادة.

ونهاهُ عن أقبح رذيلتيْن، وهما الشركُ بالله، والتكبرُ على عباد الله.

ثم توفي نوح عليه الصلاة والسلام.

ولم تفصِّل النصوصُ من الآياتِ والأحاديث الصحيحة كيفيةَ احتضارِ نوح ووفاتهِ عليه السلام، ولا كيفيةَ دفنه، كما أنها لم تحدِّد المكانَ الذي دُفن فيه، ولا البقعةَ التي كان قبره فيها.

وبما أن النصوصَ المعتمدةَ قد سكتتْ عن ذلك، فنحنُ ملزمون أن نسكتَ عنه، وأن لا نحاولَ أخذه من اليهوديات[2].

---

١ أخرجه أحمد في المسند ١٦٩/٢، ١٧٠، ٢٢٥. والبيهقي في الأسماء والصفات: ٧٩. وانظر الأحاديث الصحيحة. رقم: ٥٢.

٢ صلاح الخالدي، القصص القرآني، المجلد الأول، ص٢١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين نوح وأمة مُحَمَّد ﷺ يوم القيامة

أخبرَنا رسولُ الله ﷺ عن أمريْن، يكونان بين نوحٍ عليه الصلاة والسلام، وبين أمةِ مُحَمَّد ﷺ.

الأمر الأول: هو استشفاعُهم بنوحٍ عليه السلام. فعندما يكونون في أرض الموقف، يُعانون أهوالَ الحشر، يأتون إلى آدم عليه السلام، يستشفعون به، فيُحيلهم إلى نوح عليه السلام.

روى البخاريُّ ومسلم وغيرُهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، في حديث الشفاعة الطويل، أنه قال:

«.. **فيقول لهم آدمُ عليه السلام: اذْهَبوا إلى غيري، اذْهَبوا إلى نوح.**

فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح: أنت أولُ الرسل إلى الأرض، وسمّاكَ اللهُ عبداً شكوراً. اشفَع لنا إلى ربك! ألا ترى ما نحنُ فيه؟ ألا ترى ما قد بلَغَنا؟

فيقولُ لهم: إن ربي قد غضبَ اليوم غضباً، لم يغضبْ قبلَه مثله، ولن يغضبَ بعدَه مثله، وإنه قد كانت لي دعوة، دعوتُ بها على قومي، نفسي نفسي، اذْهَبوا إلى غايري، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ..»[1].

ويبقون يذهبون إلى الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، يستشفعونَ بهم، حتى يَصِلوا إلى مُحَمَّد ﷺ، فيشفعُ لهم عند الله، لأنه صاحبُ مقام الشفاعة!

شهادة الأمة لنوح بتبليغ قومه:

الأمر الثاني: شهادةُ أمةِ مُحَمَّد ﷺ، لنوح عليه الصلاة والسلام، أنه بلَّغَ قومه، وذلك بعد أنْ يكذب قومُه، وينكروا تبليغَه لهم.

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوحٌ وأمتُه فيقول اللهُ له: هل بلَّغْت؟

فيقول نوح: نعمْ ي رب!

فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟

فيقولون: لا. ما جاءنا مِن نبي!

فيقول لنوح: مَن يشهدُ لك؟

فيقول: مُحَمَّد ﷺ وأمتُه!

قال عليه الصلاة والسلام: وهذا هو قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣]. **والوسط: العدل.**

قال عليه الصلاة والسلام: فَيُدْعَوْن. فيشهدون له بالبلاغ، ثم أشهدُ عليكم»[2].

وفي رواية النسائي تفصيلٌ أكثر، مع إبهامِ اسم النبي الذي تشهدُ له هذه الأمة.

---

١ أخرجه البخاري برقم: ٣٣٤٠، ومسلم برقم: ١٩٤. انظر الأحاديث الصحيحة رقم: ٣٦٤.

٢ أخرجه البخاري برقم: ٣٣٣٩. انظر الأحاديث الصحيحة: رقم ٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

روى النسائي عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**يجيءُ النبيُّ يومَ القيامة معه الرجل، ويجيءُ النبيُّ معه الرجلان، ويجيءُ النبيُّ معه أكثر من ذلك!**

فيقال له: هل بلَّغتَ قومك؟

فيقول: نعم.

فيُدْعَون: فيقال لهم: هل بلَّغكم؟

فيقولون: لا.

فيقال: مَنْ يشهدُ لك؟

فيقول: أمةُ مُحَمَّد ﷺ.

فتُدعى أمةُ مُحَمَّد ﷺ، فيقال لهم: هل بلَّغَ هذا؟

فيقولون: نعم.

فيقال: وما عِلْمُكم بذلك؟

فيقولون: أخبرَنا نبيُّنا ﷺ أن الرسلَ قد بلَّغوا، فصدّقْناه.

فذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومعنى: **﴿ وَسَطًا ﴾: عَدْلاً**»[1].

إن أمةَ مُحَمَّد ﷺ هي الأمةُ الوسطُ العادلة، هي أمةُ العدالة والشهادة، التي تحبُّ الأنبياءَ السابقين جميعاً، ولذلك نشهدُ لهم بالصدق والعدل، بأنهم بلَّغوا أقوامهم، ولكن أقوامهم يُنكرون ويَكذبون.

ومن هذه الشهادات الصادقة العادلة، هذه الشهادةُ التي يقدمونها لصالح نوح عليه الصلاة والسلام يوم القيامة، وقد عَلِموا ذلك من كتاب الله، ومن حديثِ رسولِ الله ﷺ، فآمَنوا به وصدَّقوه، وشهدوا به.

---

١ أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم: ١١٠٠٧. انظر الأحاديث الصحيحة، رقم: ٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

المحاضرة الأولى: قصص الأنبياء: قراءة تأصيلية جديدة: ٤
أولاً: زمن ما قبل البعثة: ٩
ثانياً: أخبار ما بعد البعثة: ٩
ثالثاً: أما من أهداف القصص القرآني فنذكر: ١٠
شجرة الأنبياء ١٢
الموقف العلمي في «الإسرائيليات» ١٨
المحاضرة الثانية: ٢٣
المحاضرة الثالثة: خلق آدم عليه السلام: ٣٣
خلق آدم – عليه السلام: ٣٣
المرحلة الأولى: من حفنة تراب: ٣٧
المرحلة الثانية: خلقه من طين: ٣٧
المرحلة الثالثة: هو الطين اللازب: ٣٧
المرحلة الرابعة: خلقه من صلصال من حمأ مسنون: ٣٨
المرحلة الخامسة: مرحلة خلقه من صلصال كالفخار: ٣٨
المرحلة السادسة: آدم قبل نفخ الروح: ٣٨
المرحلة السابعة: مرحلة خلق آدم: ٣٩
المحاضرة الرابعة: مِمَّ يتكون الإنسان عموماً؟؟ ٤٤
الركن الأول النازعان ٥١
الخواطر بمنزلة البذر ٥٦
المدة بين آدم ونوح عليهما السلام: ٦٦
كيف انحرف الناس إلى الكفر: ٦٦
استعمالُ كلمةِ دينٍ في القرآنِ الكريمِ: ٦٨
الدينُ بالمعنى الأول والثاني: ٦٨
الدينُ: الْمُصْطَلَحُ الجامِعُ الشّامِل: ٧٠
أمّا مفهوم العبادة: ٧١
التحقيق اللغوي ٧٢
بين نوح وأمة مُحَمَّد ﷺ يوم القيامة ٩١